الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

استراتيجيات التخاطب في الوصايا الوعظية

مقاربة تداولية حجاجية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة ماستر في الأدب العربي تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- حنان دريد
- صباح سلايمية

إشراف الدكتورة:

- شادية شقروش

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
عادل بوديار	أستاذ محاضر (ب)	رئيسا
شادية شقروش	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا و مقررا
أحمد سعود	أستاذ مساعد (أ)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشيخ العربي التبسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

استراتيجيات التخاطب في الوصايا الوعظية

مقاربة تداولية حجاجية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة ماستر في الأدب العربي تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- حنان دريد
- صباح سلايمية

إشراف الدكتورة:

- شادية شقروش

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
عادل بوديار	أستاذ محاضر (ب)	رئيسا
شادية شقروش	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا و مقررا
أحمد سعود	أستاذ مساعد (أ)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

«وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ»

التوبة الآية 105

شكر وعرفان:

شكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقه لإتمام هذا الجهد المتواضع والذي نسأله سبحانه وتعالى أن يكون لنا علما نافعا وعملا متقبلا.

الشكر الخالص نتوجه به إلى الدكتورة المشرفة "شادية شقروش" على تشجيعاتها المتواصلة، ومثابرتها في توجيهنا ودعمنا أثناء رحلة البحث، والتي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها السديدة، فلها منا كل التقدير والاحترام والتبجيل.

كل الاحترام والتقدير نبعث بهما إلى كل الأساتذة الكرام الذين أنارو لنا طريق العلم.

كما نتوجه بالشكر الجزيل في الختام إلى عمال مكتبة كلية اللغة والأدب العربي، وإلى كل من أسدى لهذا العمل يدا ولو كانت مثقال حبة خردل مشفوعة بالدعاء إلى الله أن يثيبه خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مدخل: مفاهيم منهجية

1- مفهوم الوصايا

1-1 لغة

1-2 اصطلاحا

1-12 الوصية مصطلحا عاما

2- استراتيجية التخاطب

3- مفهوم التداولية

3-1 لغة

3-2 اصطلاحا

4- الحجاج

4-1 لغة

4-2 اصطلاحا

الفصل الأول: أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الوصايا الوعظية

المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية

1- مفهومها

2- أنواعها

2-1 وصايا الآباء للأبناء

2-2 وصايا الاستخلاف

2-3 وصايا الحكماء

3- وسائل الاستراتيجية التوجيهية

3-1 الأمر

3-2 النهي

3-3 الاستفهام

3-4 التحذير

3-5 النداء

3-6 الإغراء
3-7 ذكر العواقب
المبحث الثاني: الاستراتيجية التلميحية
1- مفهومها
2- الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التلميحية
2-1 ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية
2-2 كذا
2-3 إنما
2-4 الاستعارة
2-5 الكناية
المبحث الثالث: الاستراتيجية التضامنية
1- مفهومها
2- وسائلها
الفصل الثاني: استراتيجية السياق في الوصايا الوعظية
1- مفهوم السياق
1-1 لغة
1-2 اصطلاحا
المبحث الأول: السياق المقامي
المبحث الثاني: السياق الوجودي
المبحث الثالث: السياق النفسي
المبحث الرابع: السياق النصي
خاتمة
ثبت المصطلحات
قائمة المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

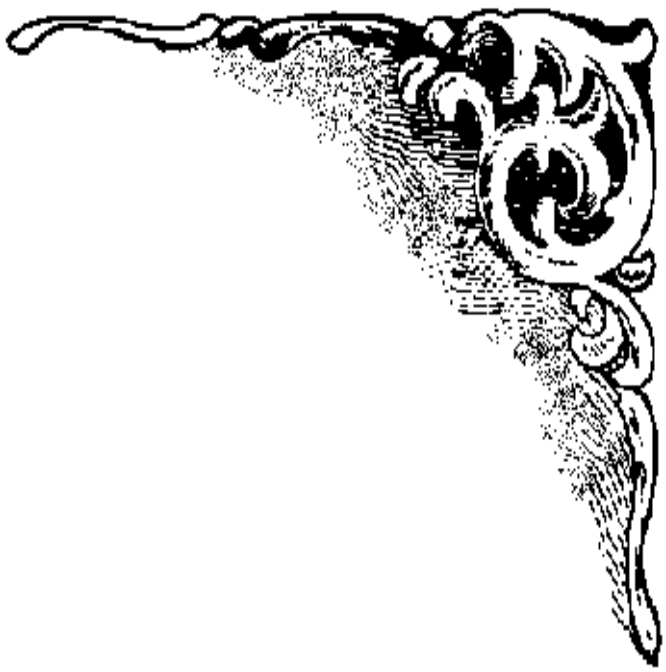

مقدمـــــة

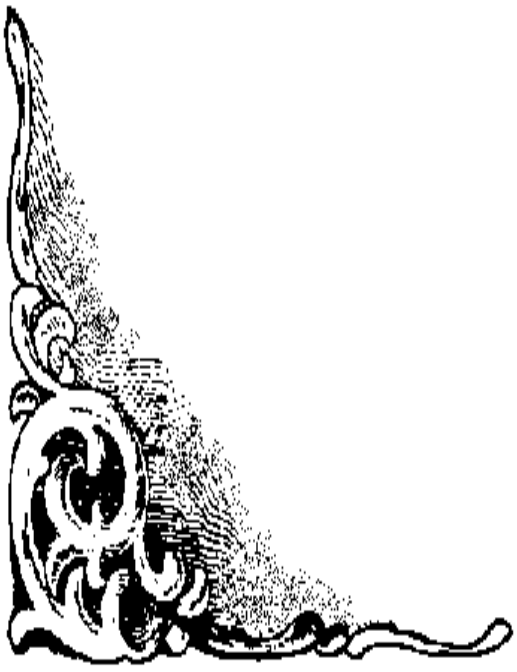

مقدمة:

يعد الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، يرتكز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المخاطب للتغيير من معتقدات المتلقي ومحاولة إقناعه بالموضوع، وباعتماده على استراتيجيات تخاطبية مختلفة.

توجيهية يختلف فيها المرسل من الأب إلى الحاكم إلى صاحب الحكمة، والمرسل إليه من الابن إلى الرعية إلى أفراد المجتمع، مع اختلاف الوسائل اللغوية من الأمر والنداء والإغراء...الخ، وهيمنة سلطة التوجيه للوصول إلى المراد.

تلميحية يستعملها المرسل من أجل تحقيق مقاصده بما يغاير المعنى الخطابي الحرفي، لينجز أكثر مما يقول، كل هذا عن طريق التلميح بالاستعارات والكنايات التي تعد أهم الوسائل اللغوية للاستراتيجية التلميحية.

تضامنية يحاول فيها المرسل التقرب من المرسل إليه وتقريبه من خلال تجسيد الرغبة في المحافظة على هذه العلاقة وتطويرها، وتعد المواضع الحجاجية هي الوسيلة الوحيدة للاستراتيجية التضامنية.

نتوجه في هذا البحث بفعل قرائي لمدونة تراثية اخترناها لاكتشاف غمارها، ولوجود وصايا وعظية صالحة للدراسة والتطبيق، هذه المدونة تتمثل في كتاب جمهرة خطب العرب بأجزائه الثلاثة، وقد افترضنا منذ بداية البحث وجود تجليات للاستراتيجيات التخاطبية: التوجيهية، التلميحية، التضامنية واستراتيجيات السياق بمختلف أنواعها.

تم اختيار هذا الموضوع لأسباب: ذاتية تتمثل في ميلنا نحو الدراسات الحجاجية التداولية، والممارسات التحليلية، ورغبتنا في تسليط الضوء –ولو بالقدر اليسير– على فن الوصايا الذي يحمل كثيرا من المضامين السامية والملامح الفنية المتميزة.

معرفية تتجسد في جدة الموضوع، فرغم الغزارة التي عرفتها الممارسات الحجاجية التداولية في هذا المجال، إلا أنها لم تأخذ حقها في الدراسة والتقصي في مجال الاهتمام بالتراث.

وبهذه الأهمية التي يحملها الموضوع تهدف دراستنا هذه إلى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:

1-الوصول إلى ماهية استراتيجيات التخاطب.

2-معرفة أنواع ووسائل الاستراتيجيات التخاطبية.

3-التعرف على السمات العامة للوصايا وقيمتها التربوية في اكتشاف جوانب الاتباع والإبداع في أدب الوصية.

وأثناء اطلاعنا على أهم الأبحاث والدراسات التي أجريت حول موضوع المقاربات التداولية الحجاجية، وجدنا بعض الدراسات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2009.

2- شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة خطب العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.

3- عمر بلخير، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقفع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل، 2008.

ومن طبيعة البحث الأكاديمي مواجهة بعض الصعوبات التي حالت دون الوصول إلى الهدف المنشود، **أولها:** كون مدونتنا مستفيضة غنية بالاستراتيجيات التخاطبية والوصايا الوعظية، مما أدى بنا إلى أخذ وقت طويل من أجل استيعابها ودراستها.

ثانيها: صعوبة ترجمة للمصطلحات، وذلك لتعدد الترجمات للمصطلح الواحد، وكذلك بعض الكلمات التراثية التي مات استعمالها التداولي، مما أدى بنا إلى العودة والنظر في القواميس لمحاولة فهمها.

وطرحنا إشكالية استعنا فيها بالمنهج التداولي، فإلى أي مدى يمكن الوصول إلى ماهية استراتيجيات التخاطب في الوصايا الوعظية؟ وكيفية إخضاعها للمقاربة الحجاجية التداولية، وللإجابة على هذه الإشكالية رسمنا خطة مكونة من:

مقدمة:

مدخل: مفاهيم منهجية

الفصل الأول: استراتيجيات التخاطب في الوصايا الوعظية، تطرقنا فيه إلى مفهوم الاستراتيجيات التخاطبية التوجيهية والتلميحية والتضامنية مع التعرض للوسائل اللغوية لكل استراتيجية.

الفصل الثاني: استراتيجية السياق في الوصايا الوعظية طرحنا فيه مفهوم السياق وأنواع السياقات النصي والحالي والمقامي والنفسي.

وفي هذه الفصول حاولنا المواءمة بين الجانب النظري والتطبيقي، حيث ساعدنا في ذلك مجموعة من المصادر والمراجع:

– استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، والذي فتح لنا المجال للاطلاع على جميع استراتيجيات الخطاب والوسائل اللغوية المتحكمة فيها، الأمر الذي ساعدنا في انتقاء النظرية التي تتماشى مع المدونة، والوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقاربة أسلوبية تداولية، عبد الله البهلول.

- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (المجلد 01، 02، 03).

بالإضافة إلى مجموعة من المراجع في التداولية والحجاج:

- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، وجورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي.

- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة.

- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج.

خاتمة.

ليأتي في ما بعد ملحق خاص بالمصطلحات المفاتيح في البحث.

وفي الأخير كل التقدير والاحترام والتبجيل نبعث بهما إلى الدكتورة المشرفة "شادية شقروش" والتي كانت لنا سندا في مشوار البحث اعترافا لها بالفضل، نتوجه لها بأسمى عبارات الشكر والعرفان.

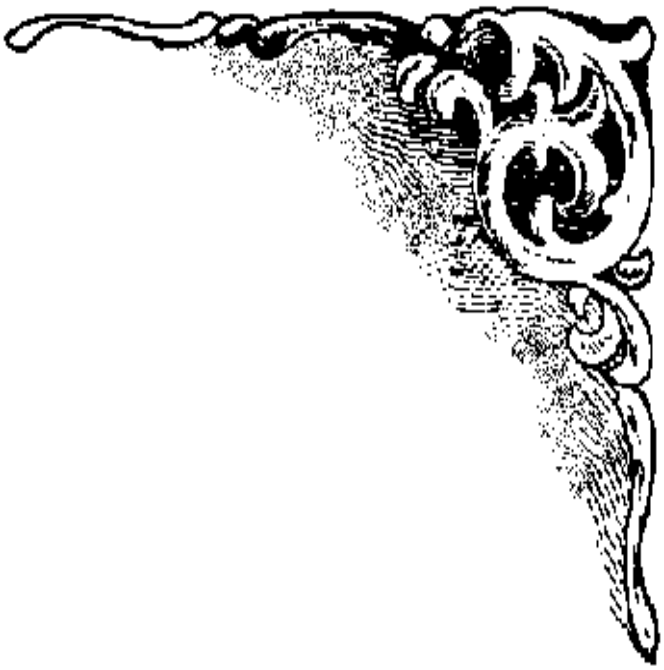

مدخل مفاهيم منهجية

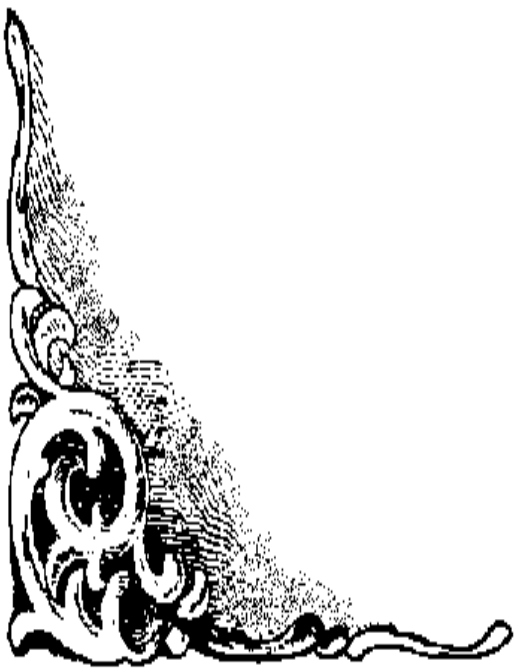

1- مفهوم الوصايا لغة واصطلاحا:

جاءت الوصايا -بشكل عام- لتنقل عموم الخبرة الشخصية والعامة، التي تحصلت لدى الموصي إلى الآخرين، فشرع الموصي يستنفذ طاقته اللغوية وإمكاناته المعرفية، لينتج نصوص وعقلية في المقام، أدبية في المقام الثاني وإذا كان الهدف الأول الإيحاء.

فكانت تلك النصوص (الوصايا) نسيجا متكاملا وظفت فيه اللغة من أجل حمل مضمون وعظي ناصح يوصي به صاحب الوصية.

1-1 الوصايا لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ): «وصي بين الوصاية والوصية ما أوصت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت...، ووصى الرجل وصيا.. وصله ووصى الشيء بغيره وصيا: وصله، وتواصى القول: أي أوصى بعضهم بعضا وفي الحديث: «**استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان**» والاسم الوصاة والوصية»[1].

تكون الوصية بهذا المفهوم حاملة لمعنى الوصل، كما تجسد فعل الخير وحبه للآخرين.

ورد في معجم العين للفراهيدي (ت 175هـ): «وصى والوصاة كالوصية، والوصاية مصدر الوصي، والفعل: أوصيت ووصيته توصية في المبالغة للكثرة، أما الوصية بعد الموت، والوصية، ما أوصيت به»[2].

«أوصى فلانا، وإليه: جعله وصية، يتصرف في أمره وماله وعياله، بعد موته، وأوصى فلانا: عهد إليه، وأوصى فلانا إليه وله بشيء: جعله لي، وأوصى فلانا به: استعطفه»[3].

1- أبو جمال الدين الأنصاري ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مجلد02، دار صادر، ط01، بيروت، لبنان، 1997، ص 451.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مجلد04، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 2002، ص 377.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، د.ط، مصر، 1994، ص 672.

وبهذا تكون الوصية دالة على العهد والتمليك، كما تدل على الاستعطاف والمشاركة.

«والوصية جمع وصايا، من الفعل وصى: ترك وصية، وأوصى بـــ: وأوصى على: فالأولى وصى بصديق، والثانية وصى فلانا على عمل ما، وصى على طبق ما، وصى على ثوب ما، وصى فلان بشيء، جعله يأخذه بعد موت ويملك من ماله، واستوصى بـــ: قل الوصية، من وصى بأحدهم: استوصى بقاصر خيرا، أراد له الخير وفعله»[1].

ومن هذا المعنى المركزي للوصية تنبثق معان عديدة موصولة به، تجري في حقل دلالي تكونه مجموعة من المعاني المختلفة قوامها: المشاركة والقبول وإرادة الفعل وإنجازه.

يقول ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة (ت 395هـــ): «الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل الشيء بشيء، ووصيت الشيء: وصلته، يقال وطئنا أرضا واصية أي نبتها متصل... ووصيت الليلة باليوم: وصلتها»[2].

يفضي النظر في المعنى اللغوي للوصية حسب ابن فارس إلى إرجاعه إلى معنى الوصل أساسا، وهو معنى تشير إليه أغلب المعاجم العربية القديمة منها والحديثة.

وكذلك في قاموس محيط المحيط: «وصى الرجل يصي وصيا، حس بعد رفعة، وفلان اتزن بعد خفة، والشيء به اتصل، وبه الشيء وصله به، والأرض وصيا ووصيا ووصاة اتصل نباتها... ووصى فلان بكذا: ملكه إياه موته فهو موص»[3].

1- صبحي حمود، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط01، بيروت، لبنان، 2000، ص 1535.

2- أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مجلد 02، دار الخيل، ط01، بيروت، لبنان، 1991، مادة (و.ص.ي)

3- بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، ساحة رياض الصلح، د.ط، بيروت، لبنان، 1987، ص 973.

ومن هنا يتضح أن مفهوم الوصية قام على معنى الموت بالرغم من اختلاف المجال الفكري الذي تنتمي إليه، وفي هذا اتفقت المعاجم والموسوعات.

وفي القرآن الكريم: « **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** »[1].

وقوله تعالى: « **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**»[2].

والوصية هنا عهد من الله عز وجل على المؤمنين أن يوفوه أو يقوموا به، وهو من عموم ما كلفوا به من الفرائض.

وذلك من قوله تعالى: « **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ** »[3].

وهي هنا أيض نقل لما كلف الله عز وجل به عباده.

ومنه قوله تعالى: « **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** »[4].

وقوله تعالى: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت، إن ترك الوصية للوالدين والأقربين»[5].

فالوصية إذن من الوصل، ويتضمن هذا الأخير المعنيين، المادي والمعنوي، وهو على أية حالة محاولة للاستمرار فهو ضد الانقطاع، ولا نستبعد أن يكون المعنى اللغوي قد حدد دلالة المصطلح وأباناها في ذهن المتلقي، ولأن الوصية بهذا المعنى حد فاصل بين

1- سورة النساء، الآية 11.

2- سورة الأنعام، الآية 152.

3- سورة البقرة، الآية 132.

4- سورة الشورى، الآية 13.

5- سورة البقرة، الآية 180.

الحياة والموت، تعكس مقاومة الإنسان للزمن المفرق للشمل، المشتت لجمع الأحبة، المحدث لوحشة الفراق بعد أنس الاجتماع.

هكذا يفضي البحث في الوصية لغة إلى جملة من الضوابط الدلالية، تجعل الانتقال من صيغة إلى أخرى انتقالا من محتوى الوصية (الوصل والاتصال والتواصل) إلى طريقة تشكيل المحتوى ووجه التأثير فيه (التقبل والمقام) إلى انتشار الوصية وتداولها بين الناس، وخروج الفعل من حيز الرغبة والإرادة إلى حيز الفعل (التحقق والإنجاز).

1-2 الوصايا اصطلاحا:

للوصية في اللغة حقل دلالي من أهم مكوناته الوصل، والهبة، وإسداء النفع، والخيرِ.... وليست المعاني اللغوية معزولة عن المصطلحات ومفاهيمها، وكما كانت هذه المعاني للمصطلحات عمادا، فإن تواتر مصطلح واحد في مجالات فكرية عديدة من شأنه الإفضاء إلى مدلولات متنوعة ومختلفة باختلاف تلك المجالات.

والناظر في مجمل تعريفات الوصية يلاحظ أنها تتأرجح بين تعريفين: عام وخاص يتسع التعريف، إذ الوصية شاملة السياسة والحكم والمال، الميراث، الأخلاق والسلوك، وينحسر فيتعلق بفن من فنون القول له بالأدب أسباب[1].

1-2-1 الوصية مصطلحا عاما:

يتواتر مصطلح الوصية في مجالات فكرية متنوعة، ويطلق على أجناس مختلفة من الكلام، منها ما هو موصول بالدين والمعتقد والفقه والتشريع، ومنها ما ينضوي تحت قضايا الحكم والسياسة والخلافة، ومنها ما يدور في فلك القيم الأخلاقية والسلوكية التي يراد تأكيدها والدفاع عنها والعمل ما جاء فيها[2].

فالوصية إذا نقل أمين من أجل تحقيق الفائدة للمتلقين، وهي ليست مرهونة بشخص معين أو متوقفة على ظرف خاص، فالحياة البشرية بتقلباتها تستدعي ذلك، إذ يحتاج الإنسان للوصية في تنظيم شؤون حياته الاقتصادية والاجتماعية والدينية والأخلاقية، وفي معاملاته وخصوماته بكل تصاريفها.

1- عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقاربة أسلوبية حجاجية، دار محمد علي، ط01، صفاقس، تونس، 2011، ص 38.

2- المرجع نفسه، ص 38.

1-2-3 الوصية في مجال الفقه والتشريع:

إن الوصية كما تعرفها بعض الموسوعات: «رغبة أخيرة يخلفها الشخص الراشد قبل وفاته فيما يتعلق بأيلولة أمواله أو جزء منها وما يريد أن يحصل بعد موته أولا يحصل»[1]. ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن المال قد تصدر موضوع الوصية، وكان عنصرها الأساس، وقد أفاضت كتب التشريع في تفصيل مقادير، وتبريرها جاعلة الوصية في معنى الهبة، وإلى هذا المعنى ذهب التنوخي في معجمه معرفا الوصية بكونها: «تتضمن تمليكا أو هبة أو تنفيذا» وأبعد من ذلك فقد تم إدراجها ضمن الأجناس المكتوبة: «ما يكتبه المرء كي ينفذ بعد موته»، ويتجاوز السيوطي في تعريفه للوصية البحث في صحتها وجوازها في الشريعة الإسلامية فيرى أنها: «تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطرق التبرع ويكون التمليك عينا أو منفعة»[2].

وحاصل النظر في معنى الوصية في مجال الفقه والتشريع يتضح أن صلته بالموت واضحة، إذ هو إعلان عنه وفي فلكه يدور، ومعنى الموت ليس معنى ملازما للوصية فحسب، وإنما هو مبدأ ثابت.

والحديث عن الموت قد يكون في مقام جاد كما قد يرد في مقام هازل أو ساخر أو متوعد.

وإذا كان معنى الموت من المعاني الملازمة للوصية في أصل نشأتها اللغوية، فهل معنى ذلك أن القول لا يكتسب صبغته الأجناسية ولا يصبح في جنس القول وصية حتى ينعقد على الموت موضوعا وينجز فيه زمنا؟

1- المرجع السابق، ص 39.

2- المرجع نفسه، ص ص 38-39.

استراتيجية التخاطب:

يعتمد المخاطب والمخاطب في انتاج خطابهما على استراتيجية معينة بحيث تمنح لهما التعبير عن مقاصدهما وتحقيق أهدافهما، فاستراتيجية التخاطب مصطلح مؤلف من لفظين هما: الاستراتيجية والتخاطب، إذ نجد أن مفهوم الاستراتيجية مفهوم عام، أما التخاطب فهو مفهوم خاص، وقبل التطرق إلى مفهوم التخاطب يجب الحديث أولا عن مفهوم الاستراتيجية، ولقد أورد ميشال فوكو مفهوما للاستراتيجية بأنها: ذات معان متعددة ليتناسب كل معنى منها مع سياق معين ويحدد معانيها بقوله: تستعمل كلمة استراتيجية عادة بثلاثة معان: أولا للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة، وثانيا للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة، وثالثا للتدليل على كافة الأساليب المستخدمة[1].

من خلال تعريفاته للاستراتيجية يحدد بأنها عمل عقلي مبني على افتراضات مسبقة وواقع معين من خلال اختيار الوسائل للوصول إلى هدف معين، فالوصول إلى ذلك الهدف يتطلب إعمال العقل والتركيز الجيد من خلال انتقائه للأساليب والأدوات التي تناسب سياق استعمالها، وبالنسبة لمبدأ الاستراتيجية فإن استراتيجية ابن تيمية ستكون حتما ملائمة لبيئته بوصفها نتيجة إبداعه»[2].

معنى هذا أن مبدأها هو الملاءمة أو المناسبة فتكون ملائمة لبيئة المتكلم، وذلك من خلال الظروف المحيطة والسياقات كونها حوصلة إبداعه، أما بالنسبة لمنطق الاستراتيجية «فيتعين من خلال الاستجابة لمستلزمات البيئة، إذ تنجز الاستراتيجية ذلك بالتعبير عن منطقها في مصطلحات عقلانية ومتعالقة، هي الغايات والطرق والوسائل»[3]. فهذه

1- (بتصرف) عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، مؤسسة الانتشار العربي، ط01، بيروت، لبنان، 2013، ص 101.

2- المرجع نفسه، ص 103.

3- المرجع السابق، ص 103.

المصطلحات الثلاثة تكون مكونات الاستراتيجية والأساس الذي تقوم وتنبني عليه فتبدأ بالهدف ويليه التصور ثم بعد ذلك الوسيلة، فتحب في الغاية: الإنسان يمارس أعماله وفق غاية يريد تحقيقها، فهي منطق التفكير[1]. فالإنسان تتحدد في ذهنه خيارات عديدة ينتقي منها المسار الذي يريده وفق الهدف المحدد، وإذا أخذت الغاية مكانها في نفس صاحبها فمن الضروري سيبحث عن طريقه أو إلى تصور، ومكمن الأهمية هو أن: «التصورات الاستراتيجية (الطرق) توضح كيف يمكن أن تتحقق الأهداف»[2]. فالتصورات تعد عمل ذهني وفي نفس الوقت تلعب دور الوسيط، بحيث أنها تربط بين الوسائل المستعملة والغايات المنشودة، وعليه فإن الإنسان لا يحدد الهدف هكذا، بل يقوم بوضع تصور من خلاله يصل إلى الغايات، والاستراتيجية لا تقوم على الغاية والتصور فقط بل هناك وسائل إذ أنها: «تحدد الوسائل في صياغة الاستراتيجية نوعها ومستوياتها الضرورية لدعم تصورات الاستراتيجية، ويمكن أن تكون الوسائل في الاستراتيجية محسوسة أو غير محسوسة»[3]. بناء على هذا فإن الوسائل تحدد النوع والمستوى لدعم طريقة الاستراتيجية وهذه الوسائل ما ملموسة أو غير ملموسة، وبالتالي فالوسائل مكون أساسي للاستراتيجية، ومن خلال التعريفات السابقة للاستراتيجية يتضح لنا بأنها وسيلة لتحقيق الأهداف المعينة.

أما ظافر الشهري فقد أورد مفهوما للاستراتيجية حيث أقر أنها: «طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، والتحكم بها»[4]. وبناء عليه يتضح لنا أن الاستراتيجية هي طريقة وخطة للوصول إلى غايات معينة لبلوغ هدف منشود، وهي تتعدد بتعدد الظروف المحيطة وتتنوع بتنوع العناصر السياقية، وعليه

1- المرجع السابق، ص 104.

2- المرجع نفسه، ص 105.

3- المرجع السابق، ص 105.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، بيروت، لبنان، 2004، ص 53.

فإن هدف الاستراتيجية يقوم على ركيزة أساسية هي الوصول إلى مقصد معين، وكما نجد أيضا أن الاستراتيجية هي: «وسيلة تحقيق المقاصد»[1]. كون الاستراتيجية تقوم على التخطيط للوصول إلى الأهداف المعينة، وبالتالي فإن الغاية هي القوام الأساسي للتفكير، بينما التخاطب: هو علاقة تقوم بين المخاطب والمخاطب والظروف المنتجة له (الزمان والمكان والسياق) [2]، مما يستلزم أن التخاطب يتطلب وجود الطرفين، حيث أن المخاطب هو المتلفظ والمنتج للرسالة من أجل التعبير عن مقاصد معينة بغرض تحقيق هدف، أما المخاطب فهو الذي يتلقى الرسالة ويشترط حضوره، كما يسهم في حركية الخطاب بل يسهم في قدرة المخاطب التنويعية، أما ما يتعلق بالظروف المنتجة له فيستلزم أن يكون طرفا الخطاب في زمان ومكان واحد، ومن هنا يمكننا الحديث عن استراتيجية التخاطب التي هي ذلك المسلك الذي يسلكه المخاطب للتعبير عن مقاصد بغية الوصول إلى غايات معينة ويكون ذلك بين مخاطب ومخاطب والظروف المنتجة (المكان والزمان والسياق) ويشترط حضور المخاطب كونه يسهم في حركية الخطاب.

2- مفهوم التداولية لغة واصطلاحا:

2-1 لغة:

جاء في اللسان لابن منظور في مادة (تداول): يقال صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لذاك... وهو ما يتداول من المحال فيكون كقوم دون قوم، كي لا يكون الفيء، دولة أي متداولا.

1- عمر بلخير، استراتيجيات التخاطب ومقاصد الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقفع، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، العدد الثالث، 2008، ص95.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 215-216.

ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاونا، فعميل هذا مرة وهذا مرة أخرى... ويقال دال يدول دولا: انتقل من حال إلى حال[1].

معنى ذلك أن التداول هو تشارك الشيء وانتقاله بين الناس، ومنه تداول الحديث وانتقاله عبر الزمان والمكان مع اختلاف المجالات وتحولات السياق، ولطه عبد الرحمن تحديد لمفهوم التداول حيث يقول: «من المعروف أن الفعل تداول في قولنا: تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله بين الناس وأرادوه فيما بينهم»[2].

وبهذا يكون معنى التداول حسبه يفيد النقل والدوران وبالتالي يكون جامعا للتفاعل والتواصل معا.

2-2 اصطلاحا:

إن التداولية تعنى بدراسة التواصل بين المتكلمين والمتلقين، أو بمعنى آخر تعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام والسياق الحالي، وأثر هذه العلاقة على كل من المخاطب والمخاطب.

جاء في المعجم اللساني الفرنسي «تهتم التداولية بمظاهر الاستعمال اللغوي والحوافز النفسية للمتكلم، ردود أفعال المخاطب، الأنماط الاجتماعية للخطاب، موضوع الخطاب، في مقابل المظاهر التركيبية (الخصائص الشكلية للبنيات) والمظاهر الدلالية (العلاقات بين المكونات اللسانية والواقع)» [3].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن التداولية تختص بدارسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)، لذا فهي مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم

1- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 02، دار صادر، ط01، بيروت، لبنان، 1997، ص 22.

2- نور الدين أجعيط، تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، ط01، أربدا، الأردن، 2012، ص 50.

3- جورج بول، التداولية ترقصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ط01، بيروت، لبنان، 2010، ص 19.

أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، كما يدخل في الاعتبار السياقات وكيفية تأثيرها في ما يقال.

ويعرفها أيضا فيليب بلاشيه بقوله: «الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم وبين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية، والحديثة والبشرية»[1].

ومن هنا نستطيع القول بأن التداولية تعنى بدارسة:

- كيفية تفسير الأقوال المستعملة، أو اعتمادها على المعرفة.
- كيفية فهم المتحدثين للأفعال الكلامية.
- كيفية تأثر الجمل بربط العلاقة بين المتحدث والسامع.

ويحدد موشلار وبول التداولية بقوله: «نحدد التداولية باعتبارها دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي»[2].

من خلال هذا التعريف نصل إلى أن التداولية (استعمال اللغة) تكون في مقابل اللسانيات (النسق اللغوي)، فإذا كانت هذه الأخيرة تهتم بالجملة، فإن التداولية تتخذ الملفوظ منطلقها الأساسي في الدراسة باحثة في الطريقة التي تتجسد من خلالها اللغة في مختلف العمليات التواصلية التي تحكمها مقامات تلفظية متغيرة.

ويعرفها جاك فرانسيس بقوله: «تتطرق التداولية إلى اللغة في أبعادها الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا»[3].

1- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط01، أربدا، الأردن، 2009، ص 96.

2- دومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، د.ط، تونس، 2008، ص 441.

3- المرجع السابق، ص 96.

من المعروف أنه في الاتجاه التلفظي لابد من وجود مخاطب ومخاطب، إذ أنه حضور ملحوظ للمتخاطبين، تتوفر فيه شروط اجتماعية وثقافية معينة، وسياقات مختلفة مع ضرورة الملاءمة بين مختلف الاستعمالات اللغوية ومجموعة الظروف والملابسات المحيطة بانتاج الفعل اللغوي.

يقدم مسعود صحراوي تعريفا إجرائيا للتداولية، إذ يربطها بالتواصل على نحو يجعلها شديدة الالتحاق به، فهو يحدد بأنها:

«إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي»[1].

إذن تأخذ التداولية من خلال هذا التعريف مسارا آخر، لتتقيد في بحثها بالاستعمال التواصلي للغة، ومحاولة الحفر في عمل القدرات الإنسانية أثناء عملية التواصل، ومن ثمة كانت التداولية قائمة على سلمة مفادها أن وظيفة اللغة ليست مجرد وظيفة تواصلية بين الذوات الإنسانية.

ويوجز محمود نحلة في تعريفه للتداولية فيقول: «دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل»[2]، فهو لا يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتلفظ والسامع في سياق محدد قد يكون ماديا، اجتماعيا، لغويا، حتى نصل إلى المعنى المراد في كلام ما، ولأن التداولية أصلا تبحث في الكفاية التواصلية، وهذه الأخيرة تتطلب لغة وسياق محيط بالتشكيل اللغوي، كما تشترط وجود أطراف الخطاب (المخاطب،

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط01، بيروت، 2005، ص 16.

2- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب، ط01، حلوان، مصر، 2013، ص 18.

المخاطب)، بالإضافة إلى عنصر الزمكانية، كل هذه الأمور تدخل في عملية التواصل وتؤثر فيها بشكل أو بآخر.

ومن هنا نستنتج أن المفهوم الغربي للتداولية لا يختلف عن المفهوم العربي، فكلاهما ارتبط بالاستعمال اللغوي، ولا يتميز الثاني عن الأول إلا بالتفصيل في أركانه التخاطبية، والأمور الحافة بهذه العملية ويبقى الاختلاف القائم كان من حيث منهج الدراسة ومحاولة التطبيق.

الحجاج:

يعد الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، وهو يرتكز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المخاطب للتعبير من معتقدات المتلقي ومحاولة إقناعه بالموضوع، حيث أدرك أرسطو أن البلاغة «ليس بالعملية ولا باليقينية بقدر ما هي احتمالية تحكم العلاقات الإنسانية»[1]، فالخطابة عنده صناعة مدارها انتاج قول يبنى به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب بحيث يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل وأن مسلماته لا تعد وأن تكون احتمالية.

وقد بين الباحثان (بيرلمان وتيتكاه) أن: الحجاج يرتكز على المعقولية والحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتجاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية[2]. معنى ذلك أنه يمنح الحرية للمستمع ويفكه من قيد الاستدلال الذي يضعه رهينة الخضوع والاستسلام ليختار بنفسه الحقيقة شريطة أن يستخدم عقله في هذا الاختيار ولا يخرج إلى اللامعقول.

1- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع، المدارس، ط01، الدار البيضاء، 2013، ص 105.

2- نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب "المثل السائر" لان الأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الأدب العربي، 2012، ص 20.

ورد الحجاج في القرآن الكريم باللفظ لقوله تعالى: «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه»[1]. فالفعل حاج، خاصم من المخاصمة وهي المنازعة والمناقشة، وقد جاء أيضا بمعنى الجدل لقوله تعالى: «**ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم**»[2]، وأن المجادلة من الجدل وهو القدرة على الخصام وهي على وزن مفاعلة وهي منازعة بالقول لإقناع الغير.

وكما ورد الحجاج عند ابن منظور (ت 711هـ) يقر بأنه: الحجة، البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة .... والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج وحاجه محاجا به.

من خلال هذا يتضح أن الحجاج يكون أثناء المخاصمة التي تدور حول اثنين، ومن الوسائل التي يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه هي الحجة، ويعطي الجرجاني (ت 816هـ) مفهوما آخر للحجاج بقوله: «الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحدا»[3]، معنى أن الحجاج عنده يحمل معنيين هما الحجة والدليل، والإنسان يمتلك حجة ودليلا ليدافع عن رأيه خلال المنازعة والمناقشة وليثبت قوة تأثير كلامه ومحاولة الإقناع، والحجاج (Largumentation) أيضا: «من حاج يحاج وهو تقديم الحجج والأدلة التي تؤيد الدعوى»[4].

فالحجاج مؤداه عرض وتقديم الحجج من أجل المناقشة والمخاصمة، فالمخاطب يحمل مجموعة من الأدلة والبراهين يحاجج بها المخاطب من أجل إقناعه وإخضاعه لهذا الرأي.

1- سورة البقرة، الآية 258.

2- سورة النساء، الآية 107.

3- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 01، دار صادر، ط01، بيروت، 1990، ص 228.

4- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 2010، ص 09.

أما في الاصطلاح يذكر طه عبد الرحمن في كتابه اللسان والميزان أن الحجاج: «هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة بحق الاعتراض عليه»[1]، فالحجاج فينظره يتجسد من إخلال استعمال المخاطب الحجج والبراهين ومن طرحه لمسألة ما لإقناع المخاطب.

كما نجد الحجاج أيضا: «مجموعة من الحجج الهادفة إلى نفس النتيجة»[2]، كون الحجاج يحمل العديد من الحجج والبراهين والأدلة المؤدية إلى نتيجة واحدة، ومن هذا المفهوم الاصطلاحي للحجاج نجده يعني المفاوضة والخصومة على سبيل المنازعة ومراجعة الكلام والمغالبة لإلزام الخصم[3]. فالمرسل يمتلك سلطة تسمح له بفرض تأويلات متعددة تصبح الأساس والهدف الذي يسعى من ورائه، كما «يود باستعمال هذه الاستراتيجية أن يفرض فبدا على المرسل إليه بشكل أو بآخر»[4]، يتخذ المرسل وسائل وأدوات لغوية تؤثر على المرسل إليه ذلك من خلال قواعد تجعله يعي محتوى الخطاب، ويعد «التوجيه وظيفة من وظائف اللغة حسب تصنيف هاليدي، إذ أن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه»[5]، كأن يسعى المخاطب إلى إقناع المخاطب من خلال التأثير فيه بغرض الوصول إلى غايته، والغاية من ذلك تحقيق عمليات لغوية.

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 226.

2- محمد نظيف وآخرون، في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، الدار البيضاء، د.ط، إفريقيا الشرق، 2014، ص 154.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 238.

4- المرجع نفسه، ص 322.

5- المرجع السابق، ص 324.

يتضح لنا أن الاستراتيجية التوجيهية تنضكم مخاطب ومخاطب بحيث يوجه المرسل خطابه إلى المرسل إليه من خلال وسائل وأدوات لغوية بغية الوصول إلى هدف معين.

الفصل الأول:

أنواع الاستراتيجيات التخاطبية

في الوصايا الوعظية

المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية

1- مفهومها:

إن الاستراتيجية التوجيهية منطلقها الأساسي يكمن في فرض المرسل سلطته على المرسل إليه من خلال خطاباته، وذلك لتبليغ قصده وتحقيق أهدافه، كما تتيح لسلطة المرسل فرض تأويلات معينة على خطاب المرسل إليه بل قد يصر المرسل على أن تأويلاته هي القصد الوحيد في الخطاب

2- أنواعها:

1-2- وصايا الآباء للأبناء:

جاء الدين بمجموعة من القيم والمبادئ لتسيير شؤون العامة، ولعل من أبرز وأدق الأمور التي حث عليها واعتبرها جوهر الصلة بين الآباء والأبناء هي وصايا الآباء للأبناء.

وصية عمرو بن كلثوم لبنيه:

أوصى عمرو بن كلثوم التغلبي، فقال: يا بني إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي، ولابد من أمر مقتبل، وأن ينزل بي فأنزل بالآباء والأجداد، والأمهات والأولاد، فحفظوا عني ما أوصيكم به: «إني والله ما عيرت رجلا قط أمرا إلا عبر بي مثله، إن حقا، وإن باطلا فباطلا، ومن سب سب، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم، وصلوا أرحامكم، تعمر داركم، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم، وزوجوا بنات العم بني العم، فإن تعديتم بهن إلى الغرباء، فلا تألوا بهن الأكفاء، وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر، وأعف للذكر، ومتى كانت المعاينة واللقاء، ففي ذلك داء من الأدواء، ولا خير فيمن لا يغار لغيره، كما يغار لنفسه، وقل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته وأمنعوا القريب من ظلم الغريب، فإنك تذل على قريبك، ولا يحل بك ذل

ريبك، وإذا تنازعتم في الدهاء فلا يكن حقكم للقاء، فرب رجل خير من ألف، وود خير من خلف، وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا، فإن مع الإكثار يكون الأهذار[*1]، وموت عاجل خير عن ضني آجل، وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة، واعلموا أن أشجع القوم العطوف، وخير الموت تحت ظلال السيوف، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب[*2]، ومن الناس من لا يرجى خبره، ولا يخاف شره، فبكرة[*3] خير من درة، وعقوقه خير من بره، ولا تبجوا في حبكم، فإنه من برج في حب آل ذلك إلى قبيح بغض، وكم زارني إنسان وزرته، فانقلب الدهر بنا فبرته[*4]واعلموا أن الحكيم سليم، وأن السيف كليم، إني لم أمت ولكن هرمت، وادخلتني ذلة فسكت، وضعف قلبي فاهترت سلمكم ربي وحياكم»[1].

هناك عدد من الوصايا وهي وصايا توجيهية صدرت عن الآباء لأبنائهم قبيل وفاتهم، فذك عمرو بن كلثوم يلعب دور (المرسل) في هذه الوصية، ليبعث بوصيته إلى (المرسل إليه)، إذ نجده ضمن وصيته مجموعة من القيم التي يجب على أي شخص أن يعمل بها ليوجه نظره وينور بصيرته عاملا بما جاء بها في حياته، ويبدو أن ابن كلثوم أب حريص مشفق أراد أن يترك لأولاده خلاصة تجربته في الحياة.

يبدأ ابن كلثوم وصيته بمقدمة تمهيدية من أجل إقناع أبنائه وشعوره بقرب أجله، وكأن الوصية وثيقة واجبة لأقرب المقربين فجاءت بدايات الوصية جملا قصيرة تخبر عن فوات العمر، وقرب الأجل راجيا من أبنائه الوعظ والرشاد يقول: «يا بني إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي، ولابد من أمر متقبل، وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد»[2].

---

*1- لم يرضى

*2- بكأت، الناقة بكئا.

*3- باره، جربه..

*4- الهتر بالضم: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 121.

2- المصدر نفسه، ص 121.

هناك دعوة صريحة إلى التمسك بهذه الوصية والأخذ بما جاء فيها: «فاحفظوا عني ما أوصيكم به»[1]. ثم أوصى بنيه بأمور تنظم علاقاتهم، وتحفظ المودة بينهم وبين الآخرين، وحثهم على التواضع ونبذ الكبر بكل مظاهره ونهاهم عن السخرية والاستهزاء وتحقير الآخر: «إني والله ما عبرت رجلا قط أمرا، إلا وعبر بني مثله إن حقا فحقا، وإن باطلا فباطلا، ومن سب سب، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم»[2].

مثلت هذه القيم سندا أساسيا لتقوية أي حجاج والأخذ به لتكون نتائج مقبولة، فالتذكير في حد ذاته يعتبر حجة، وهو الأمر الذي يجعلنا نفهم استراتيجية بن كلثوم، فهو يحث أبناءه من خلال مجموعة من المبادئ بغرض التوجيه والإرشاد إلى الطريق الصحيح المستقيم محاولا إرساء قيم إنسانية فيما يخص صلة الرحم، إكرام الجار، انتهاك الحرمات والغيرة على الأعراض، فيقول: «وصلوا أرحامكم تعمر داركم، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم، وزوجوا بنات العم بني العم، فإن تعديتم إلى الغرباء فلا تألوا بهن الأكفاء»[3].

ولما كانت المقاصد ترتبط بالمتكلم وكل ما يدور في ذهنه سواء ما صرح به من ملفوظات أو لم يصرح، فالتلفظ بالخطاب حسب طه عبد الرحمن ليس عملية تصويب فحسب، فلا يمكن الحكم بوجود التلفظ إلا بتوفر قصد المرسل وذلك يتجاوز مجرد النطق بأصوات فقط[4].

ولهذا فإن البحث عن المقاصد هو بحث جار في أسرار اللغة، ولأن تلك المقاصد تكون أولا على مستوى الذهن، لتدرك فيما بعد على شكل تراكيب لغوية ظاهرة للعيان.

1- المصدر السابق، ص 121.

2- المصدر نفسه، ص 121.

3- (ينظر) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 121.

4- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 191.

إن الكشف عن مقصدية الخطاب يشكل عتبة من عتبات التداول التي تقوم على أساسها الاستراتيجية التوجيهية، ونلمس في هذه الوصية الوعظية مقاصد اجتماعية أهمها: حسن التعامل مع الآخرين، صلة الرحم، إكرام الجار، على اعتبار أن الوعظ هو هدف ومقصد كل وصية.

وفي الوصية ما يتعلق بالنساء، إذ نجده يوصي بإبعاد بيوت النساء عن بيوت الرجال تجنبا للاحتكاك بينهما، ففي ذلك غض للبصر وعفة للذكر: «... وأبعدوا بيوت النساء عن بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر، وأعف للذكر، ومتى كانت المعاينة واللقاء، ففي ذلك داء من الأدواء»[1].

ساوى ابن كلثوم بين الغيرة عن الآخر وجعلها قبل الغيرة عن النفس، مستندا في ذلك إلى خبرته وتجاربه، وهو الموضع الحجاجي المهم والخلفية المرجعية التي قامت على أساسها هذه التسوية فيقول: «ولا خير فيمن لا يغار لغيره، كما يغار لنفسه»[2].

وكأنى الموصي هنا ترك لمتلقيه فيضا من خبراته ومشاهداته، فسجل له خلاصة تجاربه وعصارة شبابه، أسس له قواعد ومبادئ عامة في التعامل مع الآخرين المقربين منهم على اختلاف طبقاتهم وأطيافهم وميولهم.

وحذر من انتهاك الحرمات لأنه ممقوت، لما جاء فيه من مجاهرة بصريح العصيان والتمرد، وحذر من ظلم القريب قبل البعيد، ودعا إلى الإيجاز والابتعاد عن الإكثار: «... وقل من انتهك حرمة لغيره، انتهكت حرمته فامنعوا القريب من ظلم الغريب، فإنك تدل على قريبك، ولا يحل بك ذل غريبك... وإذا حدثتم فعلوا وإذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون الإهذار»[3].

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 121.

2- المصدر نفسه، ص 121.

3- المصدر السابق، ص 121.

هناك دعوة صريحة إلى عدم الانقياد والذل تقبل الواقع كما هو، والعيش فيه بما يرضي: «وموت عاجل خير من ضني آجل، وما بكيت من زمان إلا دهاني بعده زمان... وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة»[1].

ثم أوصى أولاده بأمور تنظم علاقاتهم، وتحفظ بينهم المودة، إذ أوصاهم بالشجاعة والموت تحت ظلال السيوف، وأن يمسكوا أنفسهم أوقات الغضب، وأن يتعظوا من معاتبة الآخرين لهم: «... وخير الموت تحت ظلال السيوف، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا فيمن عوتب ولم يعتب...» [2].

ثم أوصاهم بضرورة التزام وصيته وختم الوصية بعبارات دالة على الوداع، وأي وداع: وداع الأهل والأحبة والخلان: «.... إني لم أمت ولكن هرمت ودخلتني ذلة فسكت وضعف قلبي فأهترت»[3].

نستنتج مما سبق أن عمرو بن كلثوم استند إلى مواضع حجاجية تتمثل في خبرته للحياة وحنكته، لذلك كانت المقدمة التمهيدية حجة أولى، لأن الخبير بالحياة يكون قد جرب العديد من الأشياء، واستخلص من تجاربه هذه الوصية، لذلك كلما نهى عن شيء يردفه بحجة لقوله: صلوا أرحامكم تعمر داركم، فتعمر داركم دليل وحجة على صدق كلامه وكذلك الأمر في بقية أجزاء الوصية، ولموضوع الوصية تأثير في تشكيل البنية اللغوية للوصية، إذ يستدعي ذلك توسل وسائل لغوية مختلفة.

أما بالنسبة لوصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده، إذ يقول: «الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب، إذ شيم[*1] نجمه المثقوب، ولا يبغته الأجل المكتوب، ولا يفجؤه الفراق العتوب، ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب، وموضح السبيل المطلوب، وجاعل

1- المصدر السابق، ص 121.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 121.

3- المصدر نفسه، ص 121.

*1- من شام البرق: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر.

النصيحة الصريحة من قسم الوجوب، ولا سيما للولي المحبوب، والولد المنسوب، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب[*1]» ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب[*2]» والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة، فلا تقتحمه العيون، ولا تصمه العيوب[*3]، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان[*4] الاستقامة بالهوى المغلوب، والأمل المسلوب، والاقتداء الموصل إلى المرغوب، والعز والأمن من العتوب[*5]، وبعد: فإني لما علاني المشيب بقمته[*6] وقادني الكبر برمته[*7] وادكرت الشباب.

بعد أمته[*8]، اسفت لما أضعت، وندمت بعد الفطام على ما رضعت، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه، وتعلق بعيني سعيه، وأملت أن تتعدى إلى ثمره استقامته، وأنا رهين فوات، وفي برزخ أموات، ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عثارى، إن سلك وعسى ألا يكون ذلك على آثاري، فقلت أخاطب الثلاثة الولد وثمرات الخلد[*9] بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم، وإيضاح طريقهم، وجمع تفريقهم، وأن يمن على منهم بحسن الخلق، والتلافي من قبل التلف، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف، فهو ولي ذلك، والهادي إلى خير المسالك: اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي

*1- وتمام الآية: «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»

*2- وتمام الآية الكريمة: «**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ».

*3- تزدريه وتحتقره، ووصمه: عابه.

*4- اللسان: الرسالة.

*5- العتوب: أشد الإعياء.

*6- القمة: أعلى كل شيء.

*7- الرمة بالصم ويكسر: قطعة من حبل.

*8- الأمة هنا الحين، اقتبسه من قوله تعالى: «وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة».

*9- الخلد: القلب والنفس.

الضلال، وبرضاه ترفع الأغلال، وبالتماس قربه يحصل الكمال، إذا ذهب المال، وأخلفت الآمال، وتبرأت من يمينها الشمال، أنى مودعكم وإن سالمني الردى، ومفارقكم وإن طال المدى، وما عدا مما بدا، فكيف وأدوات السفر تجمع، ومنادى الرحيل يسمع، ولا أقل للحبيب المودع، من وصية محتضر، وعجالة مقتصر، ورتيمة[*1] تعقد في خنصر، ونصيحة لكم من الشفقة والحنو قصدي، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي، فهي أربكم الذي لا يتغير وقفه، ولا ينالكم المكروه ما رف عليكم سقفه، وكأني بشبابكم قد شاخ، وبرحالكم قد أناخ وبناشطكم قد كسل، واستبدل الصاب[*2] من الغسل، ونصول[*3] الشيب تروع بأسل، لا بل السأم[*4] من كل حدب قد نسل، والمعاد اللحن ولا تسل، فبالأمس كنتم فراخ حجر[*5] واليوم أبناء عسكر مجر، وغدا شيوخ مضيعة وهجر، والقبور فاغرة[*6] والنفوس عن المألوفات صاغرة، والدنيا بأهلها ساخرة، والأولى تعقبها الآخرة، والحازم من لم يتعظ به في أمر، وقال: «بيدي لا بيد عمرو[*7] فاقتنوها من وصية، ومرام[*8] في النصح فصية، خصوا بها أولادكم إذا عقلوا ليجدوا زادها إذا انتقلوا، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا، ولكن ليبلوكم أيهم أحسن عملا، ولا رضي الدنيا منزلا، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا، ولتلقنوا تلقينا وتعلموا علما يقينا، أنكم لن تجدوا بعد أن انفرد بذنبي، ويفترش التراب جنبي، ويسح انسكابي، وتهرول عن المصلى ركابي، أحرص من على سعادة إليكم تجلب، أو غاية كمال بسببكم

*1- الرتيمة: خيط يعقد في الأصبع التذكير.

*2- الصاب: عصارة شجر مرة

*3- النصول جمع نصل: وهو حديدة الرمح والسيف، والأصل: الرماح.

*4- السأم: الموت: والحدب: ما ارتفع من الأرض، ونسل كضرب: أسرع والمعاد: المرجع.

*5- أي كالفراخ في حجر أمها وحضنها، والمجر: الكثير من كل شيء، وجيش مجر: كثير جدا.

*6- أي فاتحة افواهها للموتى.

*7- هو مثل قالعة الزباء ملكة الجزيرة.

*8- مرام جمع مرمن، وقصية بعيدة.

ترتاد وتطلب حتى لا يكون في الدين والدنيا أو رف[*1] منكم ظلا ولا أشرف محلا، ولا أغبط نهلا وعلا[*2] وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيحوا[*3] إلى قولى الآذان وتستلمحوا صبح نصحى فقد بان، وسأعيد عليكم وصية لقمان، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: « **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ[*4] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**»» وأعيد وصية خليل الله وإسرائيله حكم[*5]، ما تضمنه حكم تنزيله «**يا بني إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**»، والدين الذي ارتضاه واصطفاه، وأكمله ووفاه، وقرره مصطفاه من قبل أن يتوفاه، إذا أعمل فيه انتقاد، فهو عمل واعتقاد، وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أو نقل محرر، والعقل متقدم، وبناؤه مع رفض أخيه متهدم، فالله واحد أحد فرد صمد[*6]، ليس له والد ولا ولد، تنزه عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان، خالق الخلق وما يعلمون، الذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون الحي العليم المدبر القدير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أرسل الرسل رحمة لتدعوا الناس إلى النجاة من الشقاء، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتقاء، ثم ختم ديوانهم بنبي ملتنا المرعية الهمل، الشاهدة على الملل، فتلخصت الطاعة وتعينت الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان

---

*1- ووفا الظل: اتسع وطال وامتد.

*2- النمل: الشرب الأول والعل والعللى: الشرب الثاني أو الشرب بعد الشرب تباعا.

*3- أصاغ له استمع.

*4 - صعر خده، أماله كبرا.

*5- إسرائيله: يعقوب عليه السلام، والحكم: الحكمة وهو يدل من وصية.

*6- الصمد: السيد لأنه يصمد أي يقصد في قضاء الحوائج.

بشرا، وترك دينه يضم من الأمر نشرا[*1]، فمن تبعه لحق به ومن تركه نوط[*2]، عنه في منسبه، وكانت نجاته على قد رسببه، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي فعضوا عليهما بالنواجذ**»[*3].

فاعلموا يا بني بوصية من ناصح جاهد، ومشفق شفقة والد، واستشعروا حبه الذي توافرت دواعيه، وعوا مراشد هديه، فيا فوزوا عيه وصلوا السبب بسببه، وآمنوا بكل ما جاء به، مجملا أو مفصلا على حسبه، وأوجبوا التجلة لصحبه، الذين اختارهم الله تعالى لصحبته، وجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته، واشملوهم بالتوقير، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير، وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع، ولا تع التشاجر بينهم أذن واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة، وأئمتها الجلة[*4]، فهم صقلة نصولهم، وفروع ناشئة من أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم، واعلموا أنني قطعت في البحث زماني، وجعلت النظر شاني، منذ يراني الله تعالى وأنشائي، مع نبل[*5]، يعترف به الشاني، وإدراك يسلمي العقل الإنساني، فلم أجد خابط ورق، ولا مصبب عرق، ولا نازع خطام، ولا متكلف فطام، ولا مقتحم بحرطام، إلا وغايته التي يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها، وفرعت[*6]، تنبيتها وارتقتها، فعلكم بالتزام جادتها[*7]، السابلة ومصاحبة رفقتها الكاملة، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة، والله تعالى يقول، وهو أصدق القائلين: «**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**»، وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعه، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين، وأبذلوا دونه النفوس فعل المهتدين، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق

*1- الشر، المنتشر، ومنه اللهم اضمهم نشري.

*2- أي أبعد عنه وطرد، يقال ناطت الدار: أي بعدت.

*3- أقصى الأضراس.

*4- جمع جليل.

*5- النبل: الذكاء والنجابة، والشاني: المبغض.

*6- فرعه: علاه، والتثنية: العقبة، أو الجبل أو الطريقة فيه أو إليه.

*7- الجادة: الطريق الواضح، والسابلة من الطرق المسلوكة.

الواعدين، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين، فاحذروا المعاطب التي توجب في الشفاء الخلود، وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود، واستعينوا برضا الله من سخطه، واربئوا بنفوسكم عن غمطه، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم، واقنعوا منه بما تيسر ولا تأسوا[*1]، على ما فات وتغدر، فإنما هي دجنة[*2]، ينسخها الصباح، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها، واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه[*3]، عمل، وكل ما سوى الراعي همل، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة، وتفكروا في آياته ومعانيه، وامتثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه، وصونوا شعائر الله صون المحترم، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم الله الله في الصلاة ذريعة التجلة، وخاصة الملة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر المستخدم، وأم العبادة، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهية عن الفحشاء والمنكر، إن عرض الشيطان عرضها، ووطأ للنفس الأمارة سماءها وأرضها، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، وضامنة حسن العشرة من الجار، وداعية للمسالمة من الفجار، والواسمة بسمة السلامة والشاهدة للعبد برفع الملامة وغسول[*4]، الطبع إذا شانه طبع، والخير الذي كل ما سواه له تبع، فاصبروا النفس على وظائفها، بين بدء وإعادة فالخير عادة، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، وتؤثروا على العلية الدنية، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات

*1- ولا تحزنوا.

*2- الدجنة: الظلمة.

*3- رفأ الثوب كمنع: لأم خرقة وضم بعضه إلى بعض.

*4- الغسول كصبور وتنور: الماء يغتسل به وفي الأصل "غاسول" وهو تحريف والطبع الشين والعين.

تنبس[*1]، والفلك بها من أجلكم لا يحبس، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل، الوظائف بعد أدائها لا تفوت، وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها، واتبعوا النوافل ما أطقنموها، فبالإتقان تفاضلت الأعمال، وبالمراعاة استحقت الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح مع إضاعة رأس المال، وذلك أخرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البعض.

والطاهرة التي هي في تحصيلها سبب موصل، وشرط لمشروطه محصل، فاتسوفوها والأعضاء نظفوها، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها، والحجول والغرر[*2]، فأطيلوها، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها، فالبناء بأساسه، والسيف بمراسه، واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور، وذكر مجهور وغير مجهور، تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المفترقات، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقال، واستعاض صدأه بصقال[*3]، وإن تراخى قهقر[*4]، الباع، وسرقته الطباع، وكان لما سواها أضيع، فشمل الضياع والزكاة أختها الحبيبة. ودلتها القريبة، مفتاح السعادة بالعرض الزائل، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل، وحق الله تعالى في مال من أغناه، لما أجهده في المعاش وعناه[*5]، من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه، ولا علة إلا القدر الذي يخفيه، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها، في اختيار عرضها ونتاجها، واستحبوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه

*1- أي نذهب وتضيع، يقال انبس الرجل إذا نهب، وفي الأصل تنبس وأراه محرفا.

*2- الحجول: جمع حجل بالكسر والفتح وهو الخلخال والمراد بها هنا الأطراف، وبإطالتها استيعاب غسلها، والغرر جمع غرة بالضم وهي الوجه، والمراد بتطويلها في الوضوء: غسل مقدم الرأس مع الوجه، وغسل صفحة العنق، وجملة المعنى: أنه يأمر بإسباغ الوضوء.

*3- صواب العبارة: «واستعاض بصدته صقالا: يقال استبدل الشيء بغيره، إذا أخذه مكانه (ومنه ترى أن الباء داخلة على المتروك) واعتاضه منه واستعاضه (والباء كمن)

*4- قهقر وتقهقر: رجع القهقرى.

*5- أتعبه.

ببعض ما بذل، وخالفوا الشيطان كلما عذل، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون، ولا تدرون أين تسلكون، فوهب وأقدر، وأورد بفضله وأصدر ليرتب بكرمه الوسائل، أو يقيم الحجج والدلائل، فابتغوا إليه الوسيلة بمالة واغتنموا رضاه ببعض نواله، وصيام رمضان عبادة السر المقربة، إلى الله زلفى الممحوضة[*1]، لمن يعلم السر وأخفى. مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، والقيام ببر القيام، والاجتهاد، وإيثار السهاد، على المهاد، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية، ولواحقه الشرعية، فبذلك تحسن الوجوه، وتحصل من الرقة على ما ترجوه، وتذهب قسوة الطباع، ويمتد في ميدان الوسائل الباع، والحج مع الاستطاعة الركن الواجب، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنه، وقال: «ليس له جزاء عند الله إلا الجنة»، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه، وغنى لديه، فكونوا ممن يسمع نفيره ويعطيه، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه، هذه عمد الإسلام وفروضه، ونقود مهره وعروضه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من يناويكم ظاهرين[*2]، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين.

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب[*3]، فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع، فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصل إلى اللباب، والله عز وجل يقول: «هل يستوي الذين يعلمون والذين ولا يعلمون، إنما يتذكروا أولوا الألباب» والعلم وسيلة النفوس الشريفة إلى المطالب المنيفة، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة، وخاصة الملإ الأعلى، وصفة الله في كتبه التي تتلى والسبيل في الآخرة

*1- الخالصة.

*2- يعاديكم، وظاهر بن عالبين.

*3- أي بعد الاختفاء، من انتقبت المرأة: لبست النقاب.

إلى السعادة، وفي الدنيا إلى النحلة[*1]، عادة والذخر الذي قليله يشفع، وكثيره ينفع ولا يغلبه الغاصب، ولا يسلبه العدو المناصب، ولا يبتزه الدهر إذا نال، ولا يستأثر به البحر إذا هال، ومن لم ينله فهو دليل وإن كثرت آماله.

وقليل إن جم ماله، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم، وتخطى حسابكم، فالتمسوه لبنيكم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم، واحملوهم على جمعه ودرسه، واجعلوا طباعهم ترى لغرسه، واستسهلوا ما بنا لهم من تعب من جراه[*2]، وسهر يهجر له الجفن كراه، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل، وتطوهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل، والختار والعلوم التي يتعقبها الوقت، فلا بنا لها في غيره، المقت[*3] وخير العلوم علوم الشريعة، وما نجم بمنابتها المريعة[*4]، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها، فإنها هي آلات لغير، وأسباب إلى خير منها وخير، فمن كان قابلا للازدياد، وألفى فهمه ذا انقياد، فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحة من سقيمة، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة، المهدى كنوز الكتاب والسنة، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة، والتدرج في طرق النظر بصحيح الأدلة، وهذه هي الغاية القصوى في الملة، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى، وتقاعد عن التي هي أسمى، فليروا الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه، وإياكم والعلوم القديمة، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا، ورأيا ركيكا، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون، وتطريق الظنون، وتطويق الاحتقار وسمه الصغار، وخمول الأقدام، والخسف من بعد الإبدار، وجادة

*1- نحله: أعطاه، والاسم النحلة.

*2- يقال: فعلت ذلك من جراء ومن جرائه بالتشديد ويخففان، ومن جريرته، أي من أجله، والكرى: النوم.

*3- غير الدهر: أحداثه المغيرة، والضمير فيه يعود على الوقت.

*4- المخصمة.

الشريعة أعرق في الاعتدال، وأوفق من قطع العمر في الجدال، هذا ابن رشد[*1]، قاض المصر ومفتيه.

وملتمس الرشد ومواليه، عادت عليه بالسخطة الشنيعة، وهو إمام الشريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، والتورط في ازدحامها، ولا تخلطوا جامكم[*2] بجامها، إلا ما كان من حساب ومساحة، وما يعود بجدوى فلاحة، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة، وما سوى ذلك فمحجور وضرم[*3] مسجور، وممقوت مهجور، وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا، وانهوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا، واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقا، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا، وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا، ولا تقربوا من الفتنة جمرا، ولا تداخلوا في الخلاف زيدا ولا عمرا، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين، وأهم ما أضرى[*4]، عليه الآباء ألسنة البنين، وأكرم منسوب إلى مذهبه ومن أكثر من شيء عرف به، وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى، والسوءة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى، وأقل عقوبات الكذاب، بين يدي ما أعد الله له من العذاب، أن لا يقبل صدقه إذا صدق، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق، وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم، وفي وجه الديانة كلوم[*2]، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها، أداء الأمانات إلى أهلها، وحافظوا على الحشمة والصبانة، ولا يجزوا من أقرضكم دين الخيانة، ولا توجدوا للغدر قبولا ولا تقروا عليه طبعا محلولا، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا، ولا تستأثروا بكنز ولا خزن، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا

---

*1– هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها، ولد سنة 520هـ، وردس علوم الدين والفلسفة والطب، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين، وشرح له فلسفة أرسطو، وقدو ولاه قضاء إشبيلية ثم استدعاه إلى المراكش وجعله طبيبه الخاص، ثم جعله قاضي القضاة بقرطبة.

*2– الجام: إناء من فضة.

*3– جمع ضرمة بالتحريك: وهي الجمرة والنار، وصجر التور: أحماه.

*4– ضرى بالشيء كتعب: اعتاده وأولع به، ويعدى بالهمز والتضعيف، فيقال: أضريته وضريته: أي أغريته به.

*5– الكلوم جمع كلم بالفتح وهو الجرح.

حزن، ولا تبخسوا الناس أشاءهم في كل أو وزن، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة، وسبل الله تعالى غير منسدة، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه، ويمس الدم الحرام بيد أو لسانه، قال الله تعالى في كتابه: الذي هدى به سن قويما، وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما» واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه، وامتد في سبيل السعادة باعه، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه، فالخلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، ولا عدم إقناعه، ومن غلبت غرائز جهله، فلينظر: هل يجب أن يزنى بأهله؟ والله قد أعد للزاني والخمر أم الكبائر ومفتاح الجرائم[*1]، واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطا، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذي سوغ وأعطى، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد، والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد: وقرنها بالأنصاب الأزلام في مباينة السداد[*2].

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين، والله تعالى يقول: «وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين»، وقال: «فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» في الكتاب المبين ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه وانزعوا الطعم[*3]، عن ذلك حتى تذهب ريحه، والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ولا يكل خياره، إلا للثقة من خدمه، ولا تلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروط. والمحافظ عليه مغبوط، وإياكم والظلم، فالظالم ممقوت بكل لسان مجاهر الله تعالى بصريح العصيان «والظلم ظلمات يوم القيامة» كما ورد في الصحاح الحسان، والنميمة فساد

*1- الجرائر جمع جريرة: وهي الجريمة.

*2- يشير إلى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون».

*3- الطعم: الشهوة.

وشتات، لا يبقى عليه متات[*1]، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قتات»[*2]، واطرحوا الحسد فماد ساد حسود، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود، والبخل فما رئى البخيل وهو مودود، وإياكم وما يعتذر منه، فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها، ومظنات الفصائح لا تؤمن غمراتها، وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات، ورقوا على ذوي الزمانات[*3] والعاهات، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات، وعولوا عليه وحده في الشدائد، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد، وتقربوا إليه باليسير من ماله، واعلموا أن الخلق عيال الله، وأحب الخلق إليه المختاط لعياله، وارغوا حقوق الجار، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهد أولي الأرحام والوشائج[*4]، البادية الالتحام واحذروا شهادة الزور: فإنها تقطع الظهر، وتفسد السر والجهر، والرشا فإنها تحط الأقدار، وتستدعى المذلة والصغار، ولا تسامحوا في لعبة قمر[*5]، ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر وصونوا المواعيد من الإخلاف والأيمان من حيث الأوغاد والأجلاف، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف، ولا تلهجوا بالآمال العجاف[*6]، ولا تكلفوا بالكهانة والأرجاف، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وابتعاد واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم، وقابلوا بالصبر أذية المؤذين، ولا تعارضوا مقالات الظالمين فالله لمن بغى عليه خير الناصرين، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت، فكل منقرض حقير، وكل منقض وإن طال قصير،

---

*1- المئات: ما يمت به أي يتوسل.

*2- القتات: النمام.

*3- الزمانة: العاهة.

*4- الوشائج جمع وشيجة وهي اشتباك القرابة.

*5- قمره: غلبه في لعب القمار.

*6- العجاف جمع عجفاء وهي المهزولة.

وانتظروا الفرج، وانتشقوا من جنات الله تعالى الأرج[*1]، وأوسعوا بالرجاء الجوانح، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى، فطوبى لعبد إليه جانح، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء، والجئوا إليه في البأساء والضراء، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد، ويعذب الوارد، وأسهموا[*2] منها للمساكين وأفضلوا عليهم، وعينوا الحظوظ منها لديهم، فمن الآثار: «يا عائشة أحسني جوار نعم الله، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم» ولا تطغوا في النعم وتقصروا عن شكرها، وتغلبكم[*3] الجهالة بسكرها، وتتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدكم حلبها، فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا بذهابه زينكم، وليلتزم كل منكم لأخيه، ما يشتد به تواخيه، بما أمكنه من إخلاص وبر، ومراعاة في علانية وسر، وللإنسان مزية لا يجهل، وحق لا يهمل، وأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور، ترغموا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأوداء، ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تتهارشوا تهارش الباع على الجيفة، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسيدتم معروفا فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه، والله الله لا تنسوا مقارضة سجلى[*4] وبروا أهل مودتي من أجلي، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار، وساعيا لنفسه –إن تغلب العدو على بلده– في الافتضاح والافتقار، ومعوقا عن الانتقال، أمام النوب الثقال، وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها لا يقوم بضرها، وأعقاب من تقدم شاهده، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة، ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلل من المال، وليحذر معاداة الرجال، ومزلات الإدلال، وفساد الخيال ومداخلة العيل، وإفشاء السر، وسكر الاغترار، فإنه دأب الغر، وليصن الديانة، ويؤثر الصمت ويلازم الأمانة، ويسر من

*1– الأرج: توهج ريح الطيب.

*2– أسهم له: أعطاه سهما.

*3– في الأصل "وتلقيكم" وأراه محرفا عن "وتغلبكم".

*4– السجل: النصب والمعنى أنكم مدينون مما قدمت لكم من معروف فلا تنسوا أن تردوه له بإكراه من أرده.

رضا الله على أوضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربها إلى الحق، وليقف في التماس أسباب الحلال والكمال غير النقصان، والزعازع نساكم اللدن[*1]، اللطيف من الأغصان، وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا، واستظهارا على الخطوب وغلابا، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتجن بها منكم اختيارا، أو جبر عليه إكراها وإيثار فليتلق وظائفها بسعة صدره، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة، وأسر وإحنة، وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال بعبادة وتوقع عزل، وإدالة[*2] بإزاء بيع جد بهزل، ومزلة قدم، واستباع ندم، ومآل العمر كله موت ومعاد، واقتراب من الله وابتعاد، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لا يتقاطع بسببه عمل أبيه، هذه –أسعدكم الله– وصيتي التي أصدرتها وتجارتي التي لربحكم أدرتها، فتلقوها بالقبول لنصحها والاهتداء بضوء صبحها، وبقدر ما أمضيتم من فروعها، واستغشيتم من دروعها، اقتنيتم من المناقب الفاخرة، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة، وبقدر ما أضعتم لآلئها النفيسة القيم استكثرتم من بواعث الندم، ومهما سئمتم إطالتها واستغزرتم مقالتها، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة[*3] الحساب وضابط هذا الباب، كان الله خليقي عليكم في كل حال، فالدنيا مناخ ارتحال، وتأميل الإقامة فرض محال، فالموعد للالتقاء دار البقاء. جعل الله من وراء خطته النجاة، ونفق بضائعها المزجاة[*4] بلطائفه المرتجاة، والسلام عليكم من حبيبكم المودع، والله سبحانه يلئمه[*5]، حيث شاء من شمل متصدع والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب رحمه الله وبركاته.

استهل لسان الدين بن الخطيب وصيته بتعظيم وتمجيد المولى عز وجل ليحفز أولاده على أهمية هذه الأسس والقواعد، وأخذ يذكرهم بوصايا لقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه، ووصايا خليل الله بوعظه لقومه، فالمرسل (لسان الدين بن الخطيب) يعلن عن مقصده ويبين استراتيجيته انطلاقا من خطابه والمراد بالقصد في تصور النحاة القدامى

*1– اللدن: العين.

*2– الإدالة: الغلبة.

*3– فذلكه حسابه كدحرج: فرغ منه، فن لك كن أو كن.

*4– بضاعة مزجاة: رديئة أو قليلة يردها ويدفعها من رآها رغبة عنها ونفق السلعة تنفيقا روجها.

*5– لأم الجرح والصدع كقطع، وآلامه: سده.

«الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه»[1]، يكمن مقصد المرسل (لسان الدين بن الخطيب) في إدخال أولاده في دائرة الاقتداء بالسلف الصالح وهي استراتيجية توجيهية ذكية يبين فيها الاقتداء بمجموعة من القيم والعبر.

ففي التمسك بكتاب الله واتباع سنة نبيه يستقيم دينهم «ولا ينحرفون عن طريق الضلالة لقوله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي فعضوا عليهما بالنواجد»[2]، من الأمور التي بينها لسان الدين بن الخطيب لأولاده وهو يوجههم وينصحهم على الاقتداء بما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبفهمه معاني القرآن الكريم والتدبر فيه نعي أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه هذه تدخل ضمن المقاصد الدينية (التذكير بالله) وبالتمسك بسنة محمد صلى الله عليه وسلم باعتبارها المصدر الثاني للتشريع.

وفي كيفية تفقه الدين الإسلامي جعل المرسل (لسان الدين بن الخطيب) هذا الأمر أمرا جليلا لا يمكنه الاستغناء عنه. يقول: «... فلم أجد خابط ورق، ولا مصبب عرق، ولا نازع خطام... إلا وغايته التي يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها... فعليكم بالتزام جادتها السابلة... فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين... ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين»[3]، بناء على ما قاله المرسل (لسان الدين بن الخطيب) في نصحه للمرسل إليه (أبنائه) فإننا ندرك أن كل عمل أوله التفقه في الدين الإسلامي، ويرشدهم إلى العمل بشرائع الله. كما يحذرهم من عدم التفريط في الدين بغية متاع الدنيا وغرورها وكونها أدنى ما ورث الأبناء عن الآباء.

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط01، بيروت، لبنان، 2005، ص 200.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 03، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1993، ص 191.

3- المصدر نفسه، ص 191.

لقد دعا لسان الدين بن الخطيب إلى الالتزام بالصلاة وصونها صون المحترم والمحافظة عليها قولا وفعلا بنية خالصة، إذ يقول: «... الله الله في الصلاة ذريعة التجلة، وخاصة الملة، وحاقنة الدم... وأم العبادة وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهية عن الفحشاء والمنكر... فاصبروا النفس على وظائفها... وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها»[1]، فالصلاة عماد الدين وعصام اليقين، وسيدة القربات، ومعراج المؤمن إلى رب السموات ففي كمال أوضاعها كمال للتوحيد فهي نور يستضاء به.

وصلة تربط المؤمن بربه، وناهية عن الفحشاء والمنكر، وهنا تتيح سلطة المرسل فرض تأويلات معينة على خطاب المرسل إليه، بل تصبح تأويلاته هي القصد الوحيد في الخطاب[2]، هنا تكمن المقاصد الدينية منها الصلاة التي تعد ركيزة الدين الإسلامي وتندرج ضمن نطاق الترغيب، وتمثل الاستراتيجية التي وظفها المرسل (لسان الدين بن الخطيب) «لتبليغ قصده وتحقيق هدفه»[3]، تكمن في إقام الصلاة والمحافظة على أوقاتها، وبها يستقيم الدين الإسلامي.

ويواصل توجيهه على أن باب الصلاة لا يكون إلا بالطهارة فحق الله على الغني أن يسد حاجة السائل، كما بين هذا بقوله: والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل... فاستوفوها، والأعضاء نظفوها... واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور، وذكر مجهور وغير مجهور، تستغرق الأوقات... والزكاة أختها الحبيبة... وحق الله تعالى في مال من أغناه[4]. يتضح أن الطهارة فرع أساسي لاستقامة الصلاة التي تعد شطر الإيمان بينما الزكاة فريضته، وطهارة للنفس من الشح، ووجب على كل من أنعم الله عليه من مال

1- المصدر السابق، ص 192.

2- (ينظر) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 238.

3- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2009، ص 55.

4- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 03، ص 193.

أن يزكي ابتغاء مرضاة الله فيعلن المرسل عن مقصده، ويبني استراتيجيته انطلاقا من خطابه، وهنا يكمن «القص التبليغي الذي أشار إليه ويلبسون وسبرير بحيث يعلن المتكلم صدقة بحقيقة قصده الإخباري(*)»[1]. من خلال هذا يكمن قصد المرسل أن الطهارة في تحصيلها سبب موضل، وفرع أساسي في استقامة الصلاة. أما الزكاة فتدخل في دائرة المقاصد الدينية ضمن نطاق الترغيب.

كما يلحق المرسل (لسان الدين بن الخطيب) بعض فروع الإسلام التي اعتبرها من أعمدة الإسلام في قوله: وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفى، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى. مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام... والحج مع الاستطاعة الركن الواجب... ويلحق بذلك الجهاد... واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب... فعليكم بالعلم النافع[2]، إن التقيد بأركان الإسلام من صوم رمضان وحج فيه كمال للعقيدة والتوحيد، والتقرب للحق تبارك وتعالى بما فيهما من عمل (ذكر الله)، وفعل (الإمساك) وأداء مناسك الحج، ولا يكتمل كمال التوحيد إلا عن طريق الجهاد الذي يعتبر فرعا لا يمكن الاستغناء عنه، وما يترتب عنه من ثواب للعامل به في سبيل إعلان كلمة الحق، والتضحية في سبيل الله، ولعل من أفضل الأعمال التي يتخذها كل مسلم حكيم طلب العلم باعتباره فريضة، ولقد ذكرت كلمة العلم في كتاب المولى عز وجل أكثر من خمسين مرة، وهذا إن دل فإنما يدل على أهميته مع كونه يهدي إلى مسلك الأنوار، فالحج ورمضان يعتبران من المقاصد الدينية.

وقد دعم المرسل (لسان الدين بن الخطيب) بأسس وقواعد تساعد المرسل إليه (الأولاد) على توجيهم وإرشادهم من بينها ما قاله: ... وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا،

---

*- القصد الإخباري: يكمن في رغبة المتكلم في تبيان مجموعة ما يضطلع عليه للمخاطب.

1- بلخير عمر، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، مجلة الأثر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ص 253-254.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 03، ص 194.

وانهوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا... وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا، ولا تقربوا من الفتنة جمرا... وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين... وإياكم والكذب... وعليكم بالأمانة... وحافظوا على الحشمة والصيانة... وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا... والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام»[1]، فما بينه المرسل في وعظ المرسل إليه من تحلي بمجموعة من القيم التي تسهل مسالك الحياة.

كما ارتكز في حثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي استراتيجية موصي واع لما يقول، ونية القلب وصفائه يؤدي إلى تحقيق مبدأ الأخوة بين المسلمين بعدها دخل باب فروض طاعة أولى الأمر والسير على نهجهم، وقد نهى نهيا قطعيا عن الفتنة لكونها أشد من القتل داعيا للتخلي بالصدق لما فيه من صفاء الروح والثواب الجزيل من الله تعالى، وبالنسبة لتحذيره من الكذب والخيانة اللذين يهديان إلى الفجور، وكذلك الإيفاء بالعهد، وعدم سفك الدماء، كما يعلن المرسل (لسان الدين بن الخطيب) عن مقصده ويبني استراتيجيته انطلاقا من خطابه وهذا ما يراه "سيرل" في قوله بأن المقاصد ذات تكوين (بيولوجي) ولها أطر معينة في ذهن المرسل[2]،

لذلك نجد الموصي بأمر المعروف وينهى على المنكر وهي استراتيجية توجيهية من مقاصدها الترغيب والترهيب، فالترهيب يكمن في الفتنة والكذب والخيانة وسفك الدماء، أما مقاصد الترغيب فتكمن في الصدق والأمانة.

ففي تحذيره عن الفواحش والمحرمات ما ظهر منها وما بطن، يقول: ... واجتناب الزنا وما تعلق به... والله قد أعد للزاني عذابا وبيلا... والخمر أم الكبائر... ولا تقربوا الربا... ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه... وإياكم والظلم[3]، نهى المرسل (لسان الدين

1- المصدر السابق، ص 196.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 183.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة، المجلد 03، ص 197.

بن الخطيب) المرسل إليه (أولاده) نهيا قطعيا عن كل ما يذهب العقل والبدن (خمر، أنصاب، أزلام) وما فيه من تعد على حرمات الغير من زنا، كما بين لهم خطورة من يدخل في دائرة الزنا، وما أعد الله للزاني.

ثم يلحق الربا كصفة ذميمة حث عليها كونها من مناهي الدين الإسلامي، وبه نقص في كمال عقيدة المسلم وأكل مال الغير دون وجه الحق مظلمة له وتعد على حدود الله وتبيان أن الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، ويعد «القصد أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الاتجاه المقامي في دراسة اللغة عند العرب، ذلك أن المتكلم لا يعد كذلك إلا إذا كان لكلامه قصد»[1]، صرح المرسل (لسان الدين بن الخطيب) بمقصد ألا وهو الابتعاد عن الزنا والخمر والربا التي تعد من الفواحش وهذه تدخل ضمن مقاصد الترهيب.

ويواصل المرسل (لسان الدين بن الخطيب) توجيه نحو المرسل إليه (أولاده) عن الأمور التي ينبغي التقيد والالتزام بها كما يقول: ..... وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات... وارعوا حقوق الجار... وتعاهدوا أولي الأرحام... وأن الخلق بين زرع وحصاد... وتضرعوا إلى الله بالدعاء... وأظهروا التعاضد والتناصر... وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان[2]،

نفقه مما قاله المرسل أن الأخوة لا يتحقق مبدأها إلا بالمحبة والتعاون، ولا يكون هذا إلا بإفشاء السلام، لأن فيه نوع من التآلف، وبين أنه لا محال من منية كل امرئ، لذا فالعمل واجب قبل فوات الأوان، وهذا بمساعدة وسد حاجة الجار، والتقرب إلى الله والتضرع له بالدعاء، كما حذر من كيد النساء وما فيه من شرور، «تتعدد المقاصد

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2009، ص 168.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 03، ص 198-199.

وتتداخل مستوياتها»[1]، يكمن قصد المرسل في نشر المحبة والأخوة بين الناس باعتبار الأخوة قيمة هامة.

وأخيرا أراد المرسل (لسان الدين بن الخطيب) أن يدعم أسسه ومبادئه بالتحلي بالصبر باعتباره مفتاح الأزمات في قوله: .... ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال... جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه... فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب[2].

بين هنا مقصده الذي انطوى تحت الصبر باعتباره مفتاح كل طريق، واستقامة الطريق من بين المعاني التي تطلق على القصد[3]، فالقصد يطلق على معاني عديدة من بينها استقامة الطريق فإذا اتخذها المرسل إليه وفهمها فإنه سار ضمنه، أما إذا حاد عن الطريق الصحيح فإنه يحيذ عن الصراط المستقيم والانزلاق يوقع الإنسان في النواهي التي حرمها الله.

وإذا كان لسان الدين بن الخطيب في استراتيجية التوجيهية هذه قد استند على مواضع حجاجية هنا مبادئ الإسلام المسلم بها لأنه استند إليها كونه ينتمي إلى عقيدة الإسلام، لذلك اعتمد على الترغيب والترهيب، الترغيب في الجنة والترهيب في النار، وهذا هو الموضع والخلفية التي ارتكز عليها لسان الدين بن الخطيب من أجل إقناع أبنائه والتأثير عليهم.

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط02، الدار البيضاء، 2000، ص 46.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 03، ص 200.

3- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، جامعة حلوان، ط01، كلية الآداب، 2013م، ص 140.

2-2- وصايا الاستخلاف:

وصية عمر للخليفة من بعده:

وأوصى عمر الخليفة من بعده، فقال:

«أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا، أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيرا، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء العدو، وجباة الفيء، لا تحمل فيئهم، إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيرا، فإنهم أهل العرب، ومادة الإسلام، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم، فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيرا، أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا، أو عن يد وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه، ومخافة مقته، أن يطلع منك على ريبة وأوصيك أن تخشى الله في الناس، وتخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيهم عن فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك، ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتد في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه، على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد رأفه حتى تنتهك منه، ما انتهك من حرمة الله، واجعل الناس عندك سواء، لا تبالي على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والأثر والمحاباة فيما ولاك الله، مما أفاء الله على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، وأنت إلى الآخرة جد قريب فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك، اقترفت به إيمانا ورضوانا[1]، وإن غلبك الهوى، اقترفت به سخط الله، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك، فاتبع بذلك وجه الله والدار الآخرة،

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 263.

واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك، أخذت به نصيبا وافرا، وحظا وافيا، وإن لم تقبل ذلك، لا يهمك، ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضى الله، يكن ذلك بك انتقاصا، ورأيك فيه مدخولا، لأن الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة إبليس، وهو داع إلى كل هلكة، وقد أضل القرون السالفة قبلك، فأوردهم النار، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات، وكن واعظا لنفسك، أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين، فأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبعضهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم، ولا تجمّرهم[*1] في البعوث، فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، هذي وصيتي إياك، وأشهد الله عليكم، واقرأ عليك السلام»[1].

قضت مشيئة الله عز وجل يوم خلق الخلق، وبسط الرزق أن يجعل الحكم زائل، وكل ذلك بأمره عز وجل لقوله تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء»[2].

وهذه حقيقة لا تتغير ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وسواء طال أمر الحاكم أو قصر فحتما سينتقل الحكم إلى خلفاء من بعده.

وكذلك الحال في وصية عمر للخليفة من بعده، إذ نجده ينصحه في كل ميدان من ميادين الحياة، ولا يكتفي بإدارة شؤون الدولة فقط، وإنما يحدثه في علاقته بربه والعلاقات الاجتماعية، وكيفية التعامل مع المهاجرين وأهل البادية والأمصار، وكل ذلك من خلال

*1- جمر الجيش: حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم.

1- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 263-264.

2- سورة آل عمران، الآية 27.

نظرته العميقة للحياة وبحكم توليه للخلافة لفترة زمنية معينة، وهذا هو الموضع الحجاجي الذي استند إليه عمر في تخريج وصيته يقول: «... أوصيك بتقوى الله لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا... وأوصيك بالأنصار خيرا... وأوصيك بأهل الأمصار وأوصيك بأهل البادية إنهم أصل العرب ومادة العرب»[1].

يشدد عمر رضي الله عنه الحرص على تقوى الله لأنها أساس الحكم، والحذر منه وخشية الله في الناس، مقدما له النصح مبينا له الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم لكي يكون منصفا في حكمه، راعيا للذمة حليما، عالي القدر، شريفا عادلا حيث يقول: «وأوصيك أن تخشى الله في الناس، وتخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك»[2].

أمر عمر الخلفية بأن يكون متشددا في حدود الله تعالى، والامتثال لأوامر الله عز وجل، واجتناب نواهيه وتطبيق حدوده، على أكمل وجه، حيث نجده يقول: «وآمرك أن تشدد في أمر الله تعالى وفي حدوده ومعاصيه، على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمة الله، واجعل الناس عندك سواء»[3].

وفي نبذ الظلم والمحاباة وفعل الخير وعدم الركون إلى متاع الدنيا وغرورها، وضرورة التنبيه والتفطن للقاء الله عز وجل يقول: «.... وإياك والأثر والمحاباة فيما ولاك الله، ممن أفاد الله على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 263.

2- المصدر نفسه، ص 263.

3- المصدر السابق، ص 264.

الله عليك... وأنت للآخرة جد قريب، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك، اقترفت إيمانا ورضوانا»[1].

وقد أوصى الخليفة بالتعقل وعدم ترخيص الظلم لا للنفس ولا للغير، وابتغاء وجه الله عز وجل في كل عمل يقدمه أو يقوم به خدمة للآخر، وطلب المشورة وقبول الرأي الآخر، والحرص الشديد على عدم الانقياد للأهواء، لأن أساسها إبليس، وهذا الأخير بدوره هو رأس الفتنة ودعوة للهلاك فيقول: «... وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك من ظلم أهل الذمة، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة... ورأيك مدخول فيه لأن الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة إبليس، وهو داع إلى هلكة وأضل القرون السالفة، فأوردهم النار»[2].

وفي ضرورة الاعتصام بحبل الله، والقيام بشريعته، واتباع طريق الحق يقول: «ثم أركب الحق، وخض إليه الغمرات، وكن واعظا لنفسك»[3].

وفي جانب التعامل مع الآخرين، وكيفية التعاطي معهم، إذ أوصاهم بالترحم على المسلمين صغيرهم قبل كبيرهم، وأن يقدر كل امرئ منهم قدرا يناسب مقامه: «أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين، فأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا»[4].

أوصى الخليفة عمر من بعده بالتنبه إلى إخماد نار العداوة والبغضاء، وحرمان أصحاب الحق من حقوقهم وعطاياهم يقول: «ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم، ولا

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 164.
2- المصدر نفسه، ص 164.
3- المصدر السابق، ص 164.
4- المصدر نفسه، ص 265.

تحرمهم عطاياهم عن محلها فتفقرهم»[1]، فمن الواجب على الحاكم أن يكفي رعيته حاجاتهم ويغنيهم عن طلب الغير فهي ودائع الله بين أيديه.

ولما كان المال أساس الفتنة والتفريق بين الناس، بالرغم من أنهم سواسية في كل شيء، ولا يختلفون عن بعضهم إلا بالتقوى: «ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم»[2].

كما أنه يوصي بإلغاء قانون الغابة الذي يقتضي على الضعيف أن يسير وفق ما يقدره له القوى على أساس أن هذا الأخير صاحب سلطة (مكانة، مال...الخ): «فيأكل قويهم ضعيفهم»[3].

وفي الأخير يختم وصيته بقوله: «هذه وصيتي إياك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام»[4].

يتضح من خلال ذلك أنه فعل ما يجب فعله في تقديمه لمجموعة من النصائح والإرشادات، وإعطائه التوجيهات اللازمة، فالله شاهد على ما قاله، والواجب أن يلتزم بهذه المعطيات، لأنه مطالب بها في فترة خلافته، وقد استخدم استراتيجية توجيهية كونه في مقام أعلى.

وصية يزيد بن الملهب لابنه مخلد:

أما وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد (قتل سنة 102هـ)

ولما ولد يزيد بن المهلب خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك، فتح جرجان[*1]، وطبرستان[*2] (سنة 98)، وقد أوصى ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان، فقال: «يا

1- المصدر السابق، ص 265.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 265.

3- المصدر نفسه، ص 265.

4- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 265.

*1- في الجنوب الشرقي من بحر قزوين.

*2- جنوبي بحر قزوين.

بني إني قد استخلفتك على هذه البلاد، فانظر هذا الحد من اليمن، فكن لهم كما قال الشاعر:

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم

فرش[*1] واصطنع عند الذين بهم ترمي»

هذا الحد من ربيعة، فإنهم شيعتك وأنصارك، فاقضي حقوقهم، وانظر هذا الحب من تميم، فامطرهم[*2]، ولا تزه[*3] لهم، ولا تدنهم فيطمعوا، ولا تقصهم فيقطعوا، والنظر هذا الحد من قيس، فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية، ومناصفوهم المنابر في الإسلام، ورضاهم منك البشير.

يا بني: إن لأبيك صنائع فلا تفسدها، فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم ما بنى أبوه، وإياك والدماء فإنها لا بقية معها، وإياك وشتم الأعراض، فإن الحر لا يرضيه عن عرضه عوض، وإياك وضرب الأبشار، فإنه عار "باق" ووتر مطلوب، واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة، ولا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها، وليكن صنيعك عنده من يكافئك عنه، احمل الناس على أحسن أدبك يكفؤك أنفسهم، وإذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه، وليكن رسولك فيما يبني وبينك من يفقه عنى وعنك، فإن كتاب الرجل موضع عقله، ورسوله موضع سره، واستودعك الله، فلابد للمودع أن يسكت، وللمشيع أن يرجع وما عف من المنطق وقل من الخطيئة أحب إلى أبيك وكذلك سلك هذا المسلك المحمود».

*1- فرش السهم بريشه: ألزق عليه الريش، وراش الصديق: أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله ونفعه، واصطنع عنده صنيعة، اتخذها والبيت الإيادي.

*2- مطرتهم السماء: أصابتهم بالمطر، ومطرهم بخير: أصابهم وما ومطر منه خيرا وبخير أي ما اصابه منه خير.

*3- الزهو: الكبر والتيه.

أشار إلى قيم متعددة منها المسؤولية، وكيفية المعاملة مع الآخرين إذ يقول: ونظر هذا الحد من ربيعة، فإنهم شيعتك وأنصارك، فاقضي حقوقهم[1]، ذلك أن المرسل (يزيد بن المهلب) يوصي المرسل إليه بحي ربيعة أن يتخذ منهم أنصارا له يستند عليهم في السراء والضراء، ولا يمكن اعتبارهم سندا وركيزة في حين يمكن الاعتماد عليهم إلا بقضاء حقوقهم، بعدها ينتقل المرسل إلى حد تميم حيث يخبر المرسل إليه بقوله: وانظر هذا الحد من تميم، فامطرهم، ولا تزه لهم، ولا تدنهم فيطمعوا، ولا نقصهم فيقطعوا[2].

هنا برهن المرسل (يزيد بن المهلب) للمرسل إليه (مخلدا) أن المسؤولية لا تكون إلا بهيكلة منظمة يقتدي بها كل مسؤول، ووضح له كيفية المعاملة مع كل حي وجب عليه تدعيم ركيزة حكمه بعم السلام، والخير عليهم، وأن لا يكون التكبر من شيم كل مسؤول أعماه نعيم سلطانه، إذن عليك بالعين البصيرة، العقل الراجح، ولا تجعل رعيتك يدخلون في خضم دائرة الطمع، يكمن هدف المرسل هنا بسد حاجاتهم وتلبية رغباتهم من حقوق وواجبات (الرعية).

ثم يواصل المرسل (يزيد بن المهلب) توعية المرسل إليه (مخلدا) بإجراء التدابير الذكية التي تتخذ اتجاه حي من قبس لاكتساب ودهم واستقامتهم، إذ يقول: وانظر هذا الحي من قبس، فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية، ومناصفوهم المنابر في الإسلام، ورضاهم منك البشر[3].

يتضح بأن المرسل (يزيد بن المهلب) يبين للمرسل إليه (مخلدا) بأن تطبيق المسؤولية لا يكون إلا بجعل الرعية محببين لك مناصريك في السراء والضراء، كما أشار إلى حي من قيس بأن يتخذ منهم السند باعتبارهم من الأكفاء لقومك في عصر الجاهلية.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1993، ص 318.

2- المصدر نفسه، ص 318-319.

3- المصدر السابق، ص 319.

ويتابع يزيد بن المهلب توعية مخلدا ذلك بأسلوب نداء وكأنه ينادي عليه رغم قربه له، وهنا طبق المرسل (يزيد بن المهلب) استراتيجية ذكية في التأثير على المرسل إليه (مخلدا) وتبيان أهمية وخطورة موضوع المسؤولية في قوله: يا بني: إن لأبيك ضائع فلا تفسدها، فإنه كفى بالمرء نقص أن يهدم ما بنى أبوه، وإياك والدماء فإنها لا بقية معها، وإياك وشتم الأعراض، فإن الحر لا يرضيه عن عرضه عوض، وإياك وضرب الأبشار، فإنما عار باق، ووتر مطلوب، واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة[1].

نفقه من قوله أنه ما من مسؤول يقتدي بإرشادات وتدابير المسؤول الذي قبله تستقيم له الرعية، حيث تدخل في المقاصد السياسية ضمن دائرة الانتصار، «وتتسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل»[2]، وهنا قصد المرسل واضح من خلال وصيته، أما بسن قوانين تخالف نهج المسؤولين الذين سبقوه فهنا مخالفة كبيرة لا يمكن تدارك تصليحها، وخاصة إن كان المسؤول الذي قبله الأب هنا لا يمكن لأب خداع ولده المسؤول في توعيته ونصحه، ومن ثم حذر من سفك الدماء بدون وجه حق، ونهاه عن الغدر والشتم والكلام عليهم وجه حق، ثم يتابع المرسل (يزيد بن المهلب) بطريقة منظمة في التأثير على المرسل إليه (مخلدا) أن الحر صعب الاعتذار له بكلمة شكر خاصة إذا كان الأمر متعلق بالعرض، يتضح بأن كل حريري العرض بمثابة الدين فمن ضرب في عرضه لا يقبل مقابله أي شيء.

كما تكلم المرسل عن موضوع عام يدخل فيه الرأي السديد أكثر من قانون المسؤولية ألا وهي قطع مناصب العمال كما يقال قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق، حيث بين هنا حالة استثنائية لا يمكن تدارك مرتكبها فإن تعلق العزل بالعجز هذا أمر بديهي

1- المصدر السابق، ص 319.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 327.

لعدم قدرته على العمل، أما الأمر الصعب الذي يتخلله نوع من الغدر في الظهر هي الخيانة، فهنا يحمل الأمر على محمل من الجد، لابد من المسؤول أن يتدخل تدخلا سريعا في إصدار الحكم بفصل كل خائن عن عمله ثم يتخذ إجراءات تجاهه على حسب خطورة الخيانة ونوعها.

واصل يزيد بن المهلب تأثيره على ابنه مخلدا ذلك بتوعيته توعية صارمة يتخللها النهي بشيء أساليبه هنا يدرك أهمية المسؤولية، إذ يقول: ولا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها، وليكن صنيعك عن من يكافئك عنه أجمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم... واستودعك الله[1].

بين المرسل (يزيد بن المهلب) للمرسل إليه (مخلدا) بأن يكون كل عمله خالصا للحق تبارك وتعالى، لأنه موقوف أمامه لا محالة، فالعمل الخالص فيه مرضاة للمولى عز وجل بما فيه من أجر وثواب، كما ينبه المرسل للمرسل إليه بأن يتخذ من مكارم الأخلاق مبدأ يسير على نهجه، ومن ثم استقامة الرعية وهنا «تتنوع المقاصد وتتداخل مستوياتها»[2]، هنا تعددت أغراض المرسل في توجيه وإرشاد المرسل إليه من عمل خالص بما فيه مرضاة الله تعالى ومكارم الأخلاق التي تدخل ضمن المقاصد الدينية، وهذا فور كل مسؤول جدير بالسيطرة على الحكم، وإدارته إدارة محكمة، ويكمن الموضع الحجاجي في العمل الخالص باعتباره مرضاة لله عز وجل بما فيه من أجر وثواب.

2-3- وصايا الحكماء:

تتضمن وصية الحكماء مجموعة من المبادئ التي يتعين على أي مسؤول جدير أن يسعى إلى تحقيقها، وهذا ما نجده في وصية ابن دريد لبعض الحكماء، حيث يقول:

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 319.

2- (ينظر) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط02، الدار البيضاء، 2000، ص 46.

«آمرك بمجاهدة هواك، فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها[*1] هوى يكتمك في نفسه، وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن، وصدق لا يطمع فيه تكذيب، ومضاء لا يقاربه التثبط[*2] وصبر لا يغتاله جزع، ونية لا يتقسمها التضييع».

لقد استهل الحكماء وصيتهم لرجل بفعل أمر دال دلالة قاطعة على أهمية الوصية، وهذا بالتمسك والعمل بها، حيث برهن للحكماء في بداية وصيتهم على جدية الموضوع وسعيهم لتنبيه المخاطب، وفي نفس الوقت تأثيرهم المباشر والسريع عليه، وهذه استراتيجية محكمة لتأثير على المخاطب، حيث بدأ الحكماء وصيتهم لرجل في قولهم: آمرك بمجاهدة هواك، فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو، وأهواها تقوى يكتمك في نفسه، وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى[1].

ابتدأ الحكماء وصيتهم بفعل أمر واضح وصريح لم يكن ضميرا لا يمكن للمخاطب تداركه، بل جاء في منتهى الوضوح، حيث بينوا أن كبح النفس عن الهوى يؤدي إلى طريق الضلالة، وألزموه بأمر قد قيل واستنبط من تجارب من قبل، ووضحوا أن رأس المآثم هو اتباع الهوى، فباتباعه تغلق أبواب الحسنات وتفتح أبواب السيئات، وبذلك تكون أنت بنفسك تشن حربا على نفسك بنفسك، وبينوا للرجل أن أشد وأفضح هوى تتبعه هو الهوى الذي يتغلغل في النفس، وأرشدوه إلى أن اتباع الهوى عجلة وندامة، ومن ثم بين الحكماء للرجل من خلال ما قيل حلولا تحارب بها الهوى في قولهم: ولن تفصل بين هذه

*1- أي وأشدهما.

*2- التوقف والإبطاء.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المجلد 03، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1933م، ص 233.

الخصوم إذا تناظرت لدليك إلا بحزم لا يشوبه وهن، وصدق لا يطمع فيه تكذيب، ومضاء لا يقاربه التنبط، وصبر لا يغتاله جزع، ونية لا يتقسمها التضييع[1].

من خلال ما قيل نعي وندرك أن مجاهدة الهوى تتطلب قلبا ثابتا ذا ضمير، ولذا جاهد نفسك بالصدق لأنه يهدي إلى البر واكبح نفسك عن الكذب، لأنه يهدي إلى الفجور وعليك بالإقدام وعدم الإدبار في الأعمال الحسنة، ولا يمكن العمل بهذه الأعمال إلا بصبر شديد يدل على قوة الإيمان، وفي نهاية الوصية أكد ووضح الحكماء أن بداية هذه الأعمال النية ومحلها القلب ومن ثم سلامة الاستقامة، وهنا يكمن الموضع الحجاجي في هذه الوصية.

لما كانت الحكمة دليل على رجاحة العقل، وحجة دالة على تميز الفرد عن عامة الناس، كان الحكماء يوجهون المجتمع عن طريق مجموعة من الوصايا المتضمنة في طياتها نصائح مختلفة، وهذه وصية لحكيم في زمانه يقول: «وإياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنيها: أم الندامة، ولأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة»[2].

يوصي الحكيم في زمانه بعض الحكماء ويحذرهم من العجلة، لأنها أساس للندامة، ومصداقا لقول القائل: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، واستنادا إلى أن العرب تكني العجلة: بأم الندامة، وذلك لأن الإنسان المتعجل في أمره لا يسيطر على نفسه، ولا يتحكم

1- المصدر السابق، ص 233.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد02، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1933، ص 232.

في قراراته، ولا يصل إلى الرأي الصواب: «وإياك والعجلة لأن العرب تكنيها: أم الندامة»[1].

وعلى اعتبار أن الموصي (المرسل) –الحكيم في زمانه– في مقام أعلى فهو صاحب خبرة وتجربة، يتمتع بكفاءة عالية في مختلف مجالات الحياة خاصة المعاملات منها، ومعروف هو أن الإنسان الحكيم يعد عصب المجتمع، والقلب النابض للأمة التي ترجع إليه في أخذ المشورة منه وقت الحاجة، ولأن الحكيم يستطيع تغيير الأحوال إلى الأحسن، بقيمه ومبادئه ونصائحه، ونظرته العميقة للحياة.

المرء الذي يكون في عجالة ينطق دون وعي منه، ويتحدث في أمور قد لا يفقه فيها، فهو يقول متعجلا من أجل القول فقط، ولا يعلم ماذا يقول؟ ولماذا يقول؟ لأنه وبكل بساطة إنسان متعجل، وهذا الحكيم يوصي بالتخلي عن العجلة، لأنها تنعكس سلبا على تصرفات الإنسان يقول: «... ولأن صاحبها يقول قبل أن يعلم»[2].

من الظاهر للعيان أن الإنسان العادي، نتوجه له بالسؤال، يفهم هذا الأخير ثم يجيب، ولكن الإنسان المتعجل يكون على العكس من ذلك، إذ أنه لا يعي السؤال، ويقدم الإجابة على الفهم، وهذا هو حال صاحب العجلة يقول: «.... ويجيب قبل أن يفهم»[3].

ولما كان التفكير من عزم الأمور، والتقدير من أولويات الحياة، والتجربة أساس الحكم على الأشياء، يحذر الحكيم من العجلة التي تعد سببا واضحا لكل هذه النتائج يقول: «... ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب»[4].

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ص 232.

2– المصدر نفسه، ص 232.

3– المصدر السابق، ص 232.

4– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 232.

مختلف ما تضمنته وصية الحكيم يدور حول أمر العجلة، الذي يؤثر سلبا في سلوكات وتصرفات الفرد وانعكاساته على المجتمع، وهنا يظهر الموضع الحجاجي الذي استند إليه الحكيم، والمتمثل في سعة معرفته بأمور الدنيا وخبرته الواسعة في تدبير شؤون الحياة.

إن الذم من الأخلاقيات المذمومة والسيئة، نهت عنها الشريعة الإسلامية، وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ذم الإنسان بما فيه، فما بالك بذم المرء بما لا يعلمه ويخبره في الآخرين، ولأن الذم أساسا من نتائج العجلة في الأمور، وهذا الحكيم يرى بأن الإنسان الذي يصحب العجلة منطقيا سيصحب الندامة ويعتزل السلامة: «... ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة»[1].

ومن هنا نستنتج أن الحكمة واجبة لتذكير الأجيال وتنويرهم عبر الأزمان، بهذا النور الساطع في حياة محفوفة بالصعاب والدروب الوعرة والمظلمة، كيف لا وأهل الحكمة يعدون من ذوي البصيرة الثاقبة والإلهام الكبير والتجارب الطويلة، فهذا الحكيم لم ينطلق بوصيته هذه إلا بعد تجربة مريرة وطويلة لا نعلم كم أخذت من عمره، لو لم يجد الناس الصواب والحكمة في هذا القول لما تقبلوه وتواتروه، إذ أن من الناس من عالجته مثل هذه الاستراتيجية التوجيهية –الحكمة– بعد أن ظل الطريق، ومنهم من أثر فيه كلام مثل هذه الوصايا الحكيمة ونهاه، ومنهم من بلغ المجد بالأقوال الصائبة، فسبحان الله يؤتي الحكمة من يشاء.

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 02، ص 232.

3- وسائل الاستراتيجية التوجيهية:

3- 1 الأمر:

يعد الأمر من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الاستراتيجية التوجيهية، فهو تقنية من تقنيات التوجيه: «فإذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى مرتبة من المأمور واستتبع إيجابه وجوب الفعل...، ثم إنها تولد بحسب قرائن الأحوال من ناسب المقام، إذا استعملت على سبيل التضرع كقولنا: اللهم اغفر لي وارحم ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف كقول أحد من يساويه في المرتبة أفعل بدون استعلاء ولدت السؤال والالتماس»[1].

وقد شكل الأمر عتبة من عتبات التداولية في الوصايا الوعظية، سواء في وصايا الآباء للأبناء، أو وصايا الاستخلاف، أو وصايا الحكماء، وقد تضمنت الوصايا مختلف صيغ الأمر من التماس، إرشاد، تأديب، اعتبار، توجيه...الخ.

الأمر	عرضه
1/ «... واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»[2]	1/ إرشاد وتوجيه
2/ «فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة»[3]	إرشاد وتوجيه
3/ «واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب»[1]	3/ إرشاد وتوجيه

1- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط02، لبنان، بيروت، 2000، ص 248.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 190.

3- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 264.

4/ «وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك»[2]	4/ إرشاد وتوجيه
5/ «واحفظوا القواعد التي ينبني عليهم الإسلام حتى لا ينخرم»[3]	5/ اعتبار
6/ «... فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم»[4]	6/ تأديب
7/ «... وانظر هذا الحي من قيس، فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية»[5]	7/ اعتبار
8/ «... واعلموا أن الحكيم سليم، وأن السيف كليم»[6]	8/ اعتبار
9/ «... فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا وإحسانا»[7].	9/ امتنان
10/ «... فاجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه»[8].	10/ تهديد

1- أحمد زكي: صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 136.
2- المصدر نفسه، ص 136.
3- أحمد زكي: صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 152.
4- المرجع نفسه، ص 121.
5- أحمد زكي: صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد02، ص 319.
6- أحمد زكي: صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.
7- أحمد زكي: صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 138.
8- المصدر نفسه، ص 139.

11/ «اعلموا هداكم الله»[1].	11/ التماس

نجد أن الغرض المهيمن في الأمر هو الإرشاد والتوجيه، لأن الوصايا تتضمن توجيهات وإرشادات يعيها الأبناء ويأخذوا بها لتكون لهم سراجا منيرا في حياتهم اليومية. كما يأخذ بها الحكام كي تعينهم في شؤون الحكم.

3-2 النهي:

يعرف النهي بلاغيا بأنه: «طلب الكف عن الفعل»[2]، ويعد استعماله من الآليات التوجيهية، والمعروف أنه يستعمل النهي لتوجيه المخاطب والغائب[3].

وأسلوب النهي متنوع أشكال الظهور في الوصايا، يتواتر استعماله في بعض الجمل، ويتخلل الأمر ويعاضده دلاليا[4]، إذ نجده ورد بصيغ مختلفة: الدعاء، النصح، الالتماس، إلا أن الصيغة المهيمنة هي النصح، وذلك لأن مقام الوصية يقتضي النصح والإرشاد، وبالتالي الوصول إلى الوعظ والاتباع.

النهي	غرضه
1/ «ولا ترفع للنمام عينا»[5]	
2/ «... ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم»[6]	

1- أحمد زكي، صفوت جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 188.

2- عبده عبد العزيز قليقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط03، القاهرة، مصر، ص 155.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 350.

4- عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقاربة أسلوبية حجاجية، دار محمد علي، ط01، بيروت، لبنان، ص 175.

5- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 139.

6- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 265.

3/ «... لا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المؤمنين»[1]	نصح
4/ «... ولا تجمع حراما»[2]	
5/ «... لا تطعن المعروف»[3].	

كثرة أسلوب النهي في الوصايا تدل على الاستراتيجيات التوجيهية التي يستخدمها الآباء، والحكماء والحكام، في إقناع الأبناء والرعية والتأثير فيهم.

تتجلى معظم أغراض النهي في النصح، ففي الوصايا ينهى المرسل المرسل إليه الابتعاد عن الأشياء الذميمة، والعمل بالوسائل الإيجابية كي يكون إنسانا متميزا فيحقق التفوق والتفرد.

3-3 الاستفهام:

بمعناه الاشتقاقي هو طلب الفهم قالوا: «طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة»[4]، فهو يوجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة على على السؤال، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل والسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب إلى ما يريد وصولا إلى مقصده[5]، وقد ورد الاستفهام بصيغ متنوعة: التقرير التحقير، التنبيه من الضلال...الخ.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 143.

2- المصدر نفسه، ص 143.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 143.

4- حميد آدم ثويني، البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، دار المناهج، ط01، عمان، الأردن، 2008، ص 157.

5- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 352.

الاستفهام	غرضه
1/ «وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت؟»[1]	التقرير
2/ «هل يحب أن يزنى بأهله؟»[2]	التنبيه من الضلال

يختلف غرض الاستفهام بحسب الحصول على الشيء المراد ومحاولة الوصول إليه.

3-4 التحذير:

يعد أسلوب التحذير من آليات التوجيه، ويتم ذلك من خلال استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة، وهذا ما يعمد إلى استعماله المرسل في بعض الخطابات[3].

وهو حمل المرسل إليه عدم القيام بأمور معينة، قد تكون مخالفة للمعتقد أو العادات والتقاليد...الخ.

يضمن الموصي أسلوب التحذير في ثنايا وصاياه، إذ نجده يحذر أبنائه ورعيته وقومه من الوقوع في الكذب، والغيبة والمحاباة وغير ذلك من الأخلاقيات غير اللائقة التي يجب توفرها في الحكام، وفي الأب أو الابن.

1-إياك والأثر والمحاباة فيما ولاك الله[4].

2-وإياكم والكذب فهو العورة التي يتوارى[5].

3-وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها حال الآخرة[6].

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 192.

2- المصدر نفسه، ص 197.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 355.

4- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 263.

5- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 196.

6- المصدر نفسه، ص 138.

4-وإياك وصحبة الأشرار[1].

5-وإياك والعجلة، فإن العرب تكنيها أن الندامة[2].

3-5 النداء:

هو طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات[3]، كما أنه: «طلب الإقبال على حقيقة معينة»[4]، ويعد النداء توجيها لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل[5].

وقد ورد النداء بصيغة الإغراء في أغلب الوصايا، خاصة وصايا الآباء للأبناء.

النداء	غرضه
1/ «... فاعلموا يا بني بوصية ناصح جاهد، ومشفق شفقة والد، واستشعر واجبه الذي توافرت دواعيه...» [6]	1/ إغراء
2/ «يا بني: إني استخلفك على هذه البلاد فانظر هذا الحي من هذا اليمن...» [7]	2/ إغراء ولفت الانتباه
3/ «يا بني: إن لأبيك صنائع فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم ما بنى أبوه»[8].	3/ إغراء

1- المصدر السابق، ص 138.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 232.

3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، الدار النموذجية، ط01، صيدا، لبنان، 1998، ص 27.

4- حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ص 188.

5- (ينظر) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 360.

6- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 191.

7- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 02، ص 318.

8- المصدر نفسه، ص 319.

الغرض الظاهر والمتجلي للنداء هو الإغراء، وذلك لأن الموصي ينبه الموصى (المرسل إليه) للالتفات لذلك الأمر، وفي نفس الوقت يعد الهدف الذي يسعى إليه المرسل.

3-6 الإغراء:

إن الإغراء هو توجيه تقريب، فهو أمر المخاطب بلزوم ما يحمد[1] والكفاءة التداولية هي التي تحدد قصد المرسل في كل خطاب، وذلك لأن الإغراء هو عمل توجيهي ضد التحذير، ويعد وسيلة من وسائل الاستراتيجية التوجيهية، ولذلك ورد الإغراء بشكل واضح في الوصية الوعظية نظرا لأن المرسل يحاول بكل ما لديه إقناع المتلقي والتأثير فيه بشكل أو بآخر.

ومن أمثلة ذلك في الوصايا نجد:

1-الله الله في الصلاة ذريعة التجلة[2].

2-والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك[3].

3-والزمك العدل عليهم[4].

يكمن الإغراء في توجيه المخاطب للمخاطب ضمن أمر محدود، فمثلا الصلاة باعتبارها عماد الدين الإسلامي، ومن أقامها فقد أقام الدين، نجد المرسل يغري المرسل إليه للعمل بها.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 51.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 193.

3- المصدر نفسه، ص 135.

4- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 135.

3-7 ذكر العواقب:

ذكر العواقب من الآليات المباشرة، وبالتالي الصريحة، وهذا ما يستعمله المرسل ليوجه المرسل إليه وفق ما يريده[1]، ويلجأ المرسل إلى هذه الوسيلة اللغوية عندما لا يمتلك سلطة على المرسل إليه، فيعمد إلى ذكر عواقب الأمور ولا تعد هذه الآلية حكرا على مرسل خاص، بل هي ملك لمن يرى بأنها تتناسب مع سياق كلامه، ويريد أن يستعملها مثل:

التوجيه بذكر الحسنات للأمر بفعلها فهذا طاهر بن حسين يوصي ابنه عبد الله يقول: «... واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب، وإنك لن تحوط نفسك، ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منها، فأته واهتد به تتم أمورك وتزيد مقدرتك»[2].

إذ عمد الأدب إلى تعداد حسنات المقصد أو الهدف في الدنيا، حتى يتوجهوا إلى اكتسابه والتحلي به بقناعة وذلك لتصلح الأمور وتحقق الهداية وتزيد المقدرة الإنسانية.

ومنه ربط إنجاز الفعل بوعيد مثل ذلك وصية طاهر لابنه بأن يجتنب الكذب والزور والنميمة فيقول: «... لأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب، ولا يستقيم لمطيعها أمر...» [3].

فقد تبين له بأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة من عواقبه، وبالتالي فقد ذكر العواقب المترتبة عن النميمة بأن صاحبها وقائلها لا يسلمان ولا يطاع لهما أمرا بين الناس.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 362.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 03، ص 136.

3- المصدر السابق، ص 137.

وصف الفعل بأنه سبب لنتيجة سيئة من ذلك قول الموصي لابنه عبد الله: «واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك»[1].

وصف الفعل بالخير وبذلك يتم تعداد العواقب الحسنة لعدم إثارة الغني على الفقير، ففي ذلك سلامة للقلب وحط للوزر وعاقبة خيرة، فهكذا يوصي عمر الخليفة من بعده فيقول: «.... ولا تؤثر غينهم على فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك...» [2].

وهذا إنجاز فعل تحذير من الأب لابنه إذ يقول: «... وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة، فتتهاون والتهاون بما يحق عليه فإن التهاون يوجب التفريط، والتفريط يورث البوار...» [3].

طاهر بن حسين حدد عاقبة الجري وراء الدنيا ومتاعها ونسيان الآخرة وهناءها فذكر عواقبها بأنها تورث التهاون في الأمور الذي يولد بدوره التفريط وهذا الأخير يوصل الإنسان إلى قمة الكسل وبالتالي يورثه البوار.

1- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد03، ص 136.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 264.

3- المصدر نفسه، ص 138.

المبحث الثاني: الاستراتيجية التلميحية

1/ مفهومها:

وهي مجاوزة مقصدية المعنى الحرفي إلى المعنى التلميحي، وقد عالج سيرل الاستراتيجية ضمن دراسته للأفعال اللغوية، عندما أضاف تعديلاته على نظرية أفعال اللغة التي أبدعها أوستين في عمله: «كيف ننجز الأشياء بالكلمات»[1]، فهو قسم الأفعال اللغوية إلى: أفعال مباشرة، وأفعال غير مباشرة.

وقد أشار ظافر الشهري إلى الاستراتيجية التلميحية على أنها: «الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن المقصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصد مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بما يقف عنه اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق»[2].

ومنه فالاستراتيجية التلميحية عبارة عن آليات تساعد المخاطب على أن ينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، وذلك بالارتكاز على أنواع السياقات المختلفة.

2/ الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التلميحية:

يوظف المرسل بعض الأدوات والآليات للتلميح إلى قصده، إذ يستلزم استعمالها قصدا معينا في الخطاب، فمن هذه الآليات ما يلي:

2-1 ألفاظ الكتابات والروابط والظروف الإنجازية: ومنها (كم) الخبرية، ومثال ذلك: خطاب الطبيب مع الممرض في قوله: كم خطأ أخطأته... فهو هنا لا يخبره عن أخطائه، بل يلمح إلى أن الأخطاء تجاوزت الحدود، وهذا ما تفيده كم الخبرية في الإخبار عن الكثرة.

2-2 ومنها (كذا): إذ تستعمل للكناية عن المقادير والأعمال، سواء أكان معدودا قليلا أم كثيرا، ففي استعمالها كناية عن بعض الغوامض التي يقصد المرسل عدم تحديدها.

1- (ينظر) ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 377.

2- المرجع نفسه، ص 370.

2-3 ومنها كذلك استعمال (إنما): في أسلوب الحصر، لأن: «إنما في مقام التعريض وسيلة مؤدبة ومؤثرة معا، فضلا عن إيجازها...» [1].

2-4- الاستعارة: قد يعبر المرسل عن مقصده أيضا بآليات الاستعارة، التي تعد مركز الحجاج، وأهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج مطلوبة في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، وهذا ما عبر عنه طه عبد الرحمن فعندما قال: «العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج»[2].

فالاستعارة جاءت بمعنى لفظ استعمل في غير المعنى الذي وضع له، مع وجود قرينة تمنع من أن يكون المراد هو المعنى الأصلي[3].

ومن أجل توضيح مفهوم الاستعارة أكثر، وبيان مهمتها في إقناع القارئ، أورد ابن الأثير في كتابه[4]: «المثل السائر» مجموعة من الأمثلة منها قوله تعالى: «ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد»[5].

إذا أمعنا النظر في هذه الآية لوجدنا أن الظلمات استعارة للكفر والنور، استعارة للإيمان، فذكر كلا من الظلمات والنور الذي هو المستعار، وحذف كلا من الكفر والإيمان اللذان هما المستعار له، وقد تمت استعارة صفة الكفر للدلالة على أنه كمن يمشي في الظلام ضالا، لا يعرف الحق من الباطل.

أما استعارة النور للإيمان، فليبين كذلك أن الإيمان نور يضيء للمؤمن طريقه ويوجهه نحو المسار الصحيح، فالصفة المشتركة بين الظلمات والكفر هي الضلال، أما بين النور والإيمان فهي الهدى.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 385.

2- المرجع نفسه، ص 387.

3- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، 1998، ص 233.

4- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب، تح: أحمد الحوفي، منشورات دار الرفاعي، ط02، الرياض، ص 103.

5- سورة إبراهيم، الآية 01.

وصية عبد الله بن شداد لابنه[*1]: حيث يقول:

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة، دعا ابنا له يقال له محمد، فقال: «يا بني إني أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع[*2]» وإني موصيك بوصية فاحفظها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله، وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيـد

وتقـوى الله خير الزاد ذخرا وعن الله للأتقى مزيـد

ومـا لابد أن يأتـــي قريب ولكن الذي يمضي بعـيد

ثم قال: أي بني: لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب أصبح مطلوبا ما لديه، واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان، وكن أي بني كما قال أبو الأسود الدؤلي:

وعد من الرحمن فضلا ونعمـة عليك، إذا ما جاء للعرف طـالب[*3]،

وإن أمرا لا يرتجى الخير عنده يكن هينا ثقلا على من يصاحـب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبـا فإنك لا تدري متى أنت راغـب

رأيت التواهن الزمان بأهـله وبينهم فيه تكون النوائـب[*4]،

*1- هو عبد الله بن شداد بن الهادي، واسمه أسامة الليثي، خرج مع القراء في فتنة ابن الأشعث على الحجاج، قيل: إنه غرق بدحيل، وقيل: هلك هو وعبد الله وعبد الرحمن بن أبي لبيد في الجماجم، اقتحم بها فرساها الماء فذهب.

*2- يشتاق

*3- العرف: المعروف.

*4- التوا أصله التواء قصره لضرورة الشعر، التوى به الزمان: اعوج.

ثم قال: أي بني، كن جوادا بالمال في موضع الحق، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحر الضن[*1]، بمكتوم السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجود بمكنون التلاد، وإنني بسرك عمن سالن لضنين[*2]

إذا جاوز الاثنين سر فإنه بنت، وتكثير الحديث قمين[*3]

وعندي له يوما، إذا ما ائتمنتني مكان بسوداء الفؤاد مكين[*4]

ثم قال: أي بني، وإن غلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال، والدنى عيال[*5]، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، أقل ما تكن في الباطن مالا، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عن الإنقاذ[*6]، ونعمته، وكن كما قال ابن حذاق العبدي[*7]

وجدت ابن قد أورثه أبـــــوه خلالا قد تعد من المعالـــــي[*8]

فأكرم ما تكـــــون علي نفسي إذا ما قل في الأزمات ما لي

فتحسن سيرتي وأصون عرضي ويحمل عند أهل الرأي حالي

وإن نلت الغنى لـــــم أغل فيه ولم أخصص بجفوتي الموالي[*9]

*1- الف من بالكسر والضنانة بالفتح: البخل.

*2- سال يسال من باب خاف لغة في سأل المهوز، وليس مسهلا للوزن كما ظن بعضهم.

*3- نث الحديث: أفشاه، وقمين: جدير، وقطع همزة الاثنين للضرورة.

*4- سوداء الفؤاد، وسيرداؤه، وسواده، وأسوده: حبته.

*5- العيال جمع عيل كجيب: وهو ما يلزم الإنفاق عليه، ويكون اسما للواحد (كما استعمله هنا)

*6- الفقر

*7- هو يزيد بن حذاق شاعر قديم.

*8- بنقل حركة الهمزة من أورثه إلى الدال من قد.

*9- الموالى جمع مولى: وهو هنا القريب.

ثم قال: أي بني، وإن سمعت لكمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها[*1]، رجع العيب على من قالها، وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل، وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما أنا مخلف من يرتجيني

وكلمة حاســـد في غير جرم سمعت فقلت مرى فانقذيني[*2]،

فعابوها علي ولـــــم تسؤني ولم يعرف لها يوما جبيني

سمعت بعيبة فصفحت عنـــه محافظة على حسبي وديني

ثم قال: أي بني، لا نؤاخ امرأ حتى تعاشره، وتتعقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة[*3]، فواخه على إقامة العترة، والمواساة في العسرة، وكن كما قال المقنع الكندي:

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم وتوســـــــــم فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت يدي اللبابة والتقي فبه اليدين (قرير عين) فاشدد[*4]

وإذا رأيت (ولا محالة) زلـــة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال: أي بني، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط[*5]، فإنه قد كان يقال: أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما، وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري:

وكن معقلا للحلم واصفح عن الحت فإنك راء ما حييت وسامع[*6]

---

*1- قعد جباله وبجباله: بإزائه أي أن تركتها تجري في مجراها.

*2- نفذهم: جازهم.

*3- الخر والخبرة بكسر الحاء فيها، ويضمان: العلم بالشيء كالاختيار.

*4- لي من باب تعب، وفي لغة كقرب مع الفتح في المضارع لبابة: أي ضار ذالب بالضم وهو العقل.

*5- شط في حكمه وأشط: جار.

*6- المعقل: الملجأ، والخنا الفحش.

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربـــا فإنك لا تدري متى أنت نازع[*1]

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع

وعليك بصحبة الأخيار، وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار، فإنه عار وكن كما قال الشاعر:

اصحب الأخيار وارغب فيهم رب من صاحبته مثل الجرب

ودع النـــــاس فلا تشتمهم وإذا شاتمت فاشتم ذا حسب

إن من شاتـــم وغدا كالذي يشتري الصفر بأعيان الذهب[*2]

واصدق النـــاس إذا حدثتهم ودع النـــاس فمن شاء كذب

وصية عبد الله بن شداد لابنه:

لابد من عقل حكيم يسير على نهجه الأبناء، ولن يكون خيرا من الآباء في توعية أبنائهم، وحثهم على أسس وقواعد عامة على مواجهة نوائب المستقبل، وهذا ما نجده في قول المرسل (عبد الله بن شداد) للمرسل إليه (محمد) وهو يبث له عصارة تجاربه، إذ يقول: ... عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله... ولتتبع ما جاء به الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمـــع مال ولكن التقـــي هو السعيد

وتقوى الله خيـــــر الزاد ذخرا وعنـــــد الله لأتقى مزيد

ومـــــــا لابد أن يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد[1].

نعي أول ما بينه المرسل (عبد الله بن شداد) للمرسل إليه (محمد) هو الخوف والخشية من الله تعالى نجدها استراتيجية مباشرة، حيث يتضح القصد فيها مباشرة دون

---

*1- نزع عن الشيء: انتهى عنه.

*2- الصفر كقفل، وكسر الصاد لغة: النحاس.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، ص 503.

عمليات ذهنية للاستدلال عليه[1]، كما نجد المرسل صرح بذلك مباشرة، ومنه يتبين الغرض والهدف المراد منه، أما بكونه يرى أن الجدارة بالفوز في السعادة تقوى الله، ولا يكون الخوف، والتقرب إلى المولى عز وجل إلا بالشكر تتفحص هذا في قول الحطيئة، حيث أن الخطاب لم يفهم مباشرة.

وهنا تكمن «الاستراتيجية الغير المباشرة التي تحتاج من المرسل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد»[2]، هنا خطاب المرسل (عبد الله بن شداد) لم يفهم مباشرة، في البداية تحدث عن السعادة وأهميتها بالمفهوم العام، لكن أثناء التفحص والتمعن الجيد نجده ليس هذا المراد، بل الفوز في سعادة تقوى المولى عز وجل، ويرتبط مفهوم «المقصد بالمتكلم وبما يدور في ذهنه باستمرار أثناء إصداره لملفوظاته»[3]، يتضح أن مقصد عبد الله بن شداد غرضه الاستقامة على منهج المولى عز وجل واتباع شرائعه، والشكر لله تدخل ضمن نطاق المقاصد الدينية.

ويواصل المرسل (عبد الله بن شداد) بذكر قيم أخرى تساعد المرسل إليه (محمد) في النركيز على استقامته، إذ يقول: ... لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف... واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان.. وعليك بما قاله ابو الأسود الدؤلي:

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبا فإنك لا تدري متى أنت راغب

رأيت التواهذا الزمـــان بأهله وبينهم فنه تكـــــون النوائب[4].

بناء على ما قاله المرسل على المرء أن يكون داعيا في إخراج الصدقة في كل وقت، لأنه لا يدري متى يحتاج، وليعلم أن الزمان لا يؤمن جانبه، كما يعلن المرسل عن

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 369.

2- المرجع نفسه، ص 369.

3- بلخير عمر، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، مجلة الأثر، جامعة تيزي وزو (الجزائر)، ص 253.

4- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 504.

مقصده ويبني استراتيجيته انطلاقا من خطابه كونها استراتيجية مباشرة، ذلك من خلال عدم الامتناع في إخراج المعروف، والنظر بدقة وتدبر للزمن.

ثم أوصاه بالجود والكرم في موضع الحق، إذ يقول: كن جوادا بالمال في موضع الحق، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر.. وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجود بمكنون التلاد، وإنني بسرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الاثنين سر فإنـــه بنث، وتكثير الحديث قمين[1].

يبرهن المرسل (عبد الله بن شداد) للمرسل إليه (محمد) أن طريق الحق لا يكون إلا بالجود،، وحفظ السر، وأن يكون السر في ذاته لا يتلفظ به إلا في أوانه، وبالنسبة للقصد الذي يراد به الغاية التواصلية التي يسعى المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه[2]، فغرض المرسل إخضاع المرسل إليه إلى صفات العرب التي يتميزون بها مشيرا إلى الجود والكرم باعتبارهما من شيم العرب.

وفي كيفية التعامل مع الحياة من فقر كما تحدث المرسل (عبد الله بن شداد) للمرسل إليه (محمد) يقول: ... وغلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على حال... وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، اقل ما تكون في الباطن مالا، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنقاذ نعمته، وأشار إلى قول ابن حذاق العبدي:

وإن نلت التقى لم أغل فيه ولم أخصص بجفوتي الموالي[3].

يبين له أن الفقر لا ينقص من كرم المرء وجوده لأن التحلي بالأخلاق الحميدة، ويكمن قصده كون أن الفقر ليس عيبا، ولا ينقص من شأن المرء والأخلاق، هنا تدخل ضمن نطاق المقاصد الدينية.

1- المصدر السابق، ص 504.

2- (ينظر) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 200.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 504-505.

ففي حثه على الابتعاد عن الحسد بقوله: .. وإن سمعت كلمة من حاسد فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب على من قالها... وكن كما قال حاتم الطائي:

وكلمة حاسد في غير جرم سمعت فقلت مرى فانقذيني[1].

نعي من قوله أن الابتعاد عن كل حاسد فيه حفظ للحسب والدين، وأن يكون متعاليا عن هذه الصفة الذميمة كما ذمها الإسلام باعتبارها تعد من الكبائر، فالحسد ليس من الصفات المرغوبة في الإسلام والقرآن الكريم قد بين عاقبة كل حاسد، كما أشار المرسل (عبد الله بن شداد) إلى الحسد مباشرة ونهى عنه، إذ أن المتكلم يرد تحقيق قصده من خلال خطابه[2]، غرضه يكمن في نهيه للمرسل إليه (محمد) عن الابتعاد عن الحسد كونه صفة ذميمة تفسد أخلاق المؤمن الصالح، كما يدخل ضمن دائرة الترهيب.

يشدد المرسل (عبد الله بن شداد) المرسل إليه (محمد) على أهمية الصداقة، وكيفية اختياره لها ذلك عن طريق مجموعة من الأسس التي تجعله ينتقي الصديق المعاشر في قوله: ... لا نؤاخ امرأ حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة... فواخه على إقالة العثرة... وعليك بما قال المصنع الكندي:

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسم فعالهم وتفقد[3].

نفقه من خلال ما قاله أن صحبة الأخيار لا تكون إلى بمعاشرته ومعرفة طباعه ومعدنه، واختباره في مواضع تجعلك تتمسك به أو ترده فإذا استنبطت أنه خير صاحب عانك على إقالة العثرة، وواساك في الشدة والعسرة ويفرح لفرحك، هنا تكم استراتيجيته المباشرة التي تحدث عنها ظافر الشهري في قوله: «تحتاج من المرسل إلى عمل ذهني

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 505.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية... في التراث اللساني العربي، ص 200.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 505.

يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد»[1]، يكمن قصده في كيفية انتقاء الصديق المناسب لذلك.

ثم انتقل المرسل (عبد الله بن شداد) في توعية المرسل إليه (محمد) من دائرة حسن معاشرة الصديق إلى دائرة المحبة في قوله: إذا أحببت لا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط... وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذرى:

وأحبـــــب إذا أحببت حبا مقاربا فإنـــك لا تدري متى أنا نازع

وابغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع[2].

نستدرك مما قاله المرسل (عبد الله بن شداد) للمرسل إليه (محمد) بأن يكون وسطا في المحبة وأن لا يبسط ولا يغلل في ذلك.

وأخيرا حث المرسل المرسل إليه على العمل في باب صحبة الأخيار، ذلك في قوله: وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار... واتبع ما جاء على لسان الشاعر:

أصحب الأخيار وارغب فيهم رب من صاحبته مثل الجرب

واصـــدق الناس إذا حدثتهم ودع النـــاس فمن شاء كذب[3].

يرشد عبد الله بن شداد محمد إلى الالتزام بصحبة الأخير تكسب كنزا لا بديل له، وعليك بالتمسك بالصديق فإن توسمت الخير فيهم فكن جوادا كريما معه في السراء والضراء، وإياك والكذب، واعمل بالصدق في الحديث فإنه خير الأعمال.

الألفاظ المستعارة جد لائقة لهذا الموضع من القول، وذلك ليوصل الله سبحانه وتعالى رسالته إلى العباد.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 369.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 506.

3- المصدر نفسه، ص 506.

وعليه فإن المرسل يعبر عن قصده في الاستراتيجية التلميحية عن طريق التلميح الذي ينصب على أكثر من ميزة من ميزات المستعار منه الدلالية، وقد يستعمل المرسل ملمحا إلى سمة لا تتبادر إلى الذهن مباشرة.

تعد الاستعارة من وسائل الحجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوعا من الضغط للإقناع والتأثير إذ أنها وسيلة من وسائل الاستراتيجية التلميحية. كما تعتبر عملية ذهنية بحيث لها تأثير على المتلقي، وذلك في سياق معين، وهناك استعارة مكنية التي يحذف فيها المشبه ويأتي بالمشتبه ومعه قرينة دالة، أما التصريحية فيحذف المشتبه ويأتي بالمشبه به.

تتجلى أهمية الاستعارة وأثرها في وصية "عبد الله بن شداد لابنه" في الإشارة إلى ما تضمنته من إرشادات ونصائح وعظية، ومن الاستعارات الموجودة ضمن الوصية منها الاستعارة المكنية في قوله: «ومن يصحب الزمان يرا الهوان»[1]، هنا شبه الزمان بالرفيق وحذف المشبه به وجاء بقرينة ألا وهي المصاحبة، وكذلك نجد في قول ابن خناق العبدي:

«وجدت أبي قد أورثه أبوه خلالا قد تعد من المعالي»[2].

هنا شبه الخلال بموروثات المال وما يتضمنه وحذف المشبه به وجاء بقرينة مانعة ألا وهي "أرثه"، أما بالنسبة للاستعارة التصريحية نجدها في قول قيس بن الخطيم الأنصاري، إذ يقول:

«أجود بمكنون التلاد، وإنني بسرك عمت سالني لضنين»[3].

هنا حذف المشبه به وأتى بمشتبه به ألا وهو التلاد.

2-5 الكناية:

تعد الكناية من وسائل الحجاج، يقول الجرجاني في هذا الباب «أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بهامزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم –إذا رجع إلى

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 504.

2- المصدر نفسه، ص 505.

3- المصدر السابق، ص 504.

نفسه– أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى منذ أن تجيء إليها هكذا ساذجا غفلا»[1]. والمتكلم حين يلجأ إلى الكناية فإنه لا يزيد في المعنى من حجمه، وإنما يزيد فيه من حيث إثباته وطريقة توكيده، وهي أيضا من وسائل التفنن في القول، والإبداع في إثبات المعنى والاحتجاج، و«المراد بالكناية ها هنا، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له، في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورد فيه في الوجود فيؤمن به إليه ويجعله دليلا عليه»[2]. فالكناية لها أثر خاص يميزه عن غيرها من ألا تعطيك الحقيقة مع دليلها، ففي وصية (عبد الله بن شداد) تذكر النصحية متبوعة بالحجج والأدلة يكون أكثر إقناعا وتأثيرا، إذ يقول عبد الله بن شداد لابنه «وأرى من مضى لا يرجع»[3]. هنا كناية عن الأمور التي وقعت في الماضي، بحيث لا يمكن الرجوع إليها، فالأمور التي وقعت في الماضي لها مقام وزمان ومكان معين لا تستطيع أن تتكرر حتى وإن وجدت في زمان آخر.

وكذلك في نصحه وإرشاده لابنه نجده يقول: «فإن الدهر ذو صروف»[4]، كناية عن التداول بين حلو الأيام ومرها، فالدهر يمتلك معالم الإيجابيات والسلبيات لا يمكن أن يسير في مسلك واحد ولا يتجاوز فيه، وكذلك في قوله: «وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا»[5]، كناية عن التجمل فرغم الفقر الذي عشته وما ألحقه بك من أزمات وعواقب لكن لا تظهر ذلك.

1– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العربية، ط01، لبنان، 2005، ص 54.

2– المرجع نفسه، ص 51.

3– أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد 02، ص 503.

4– المصدر نفسه، ص 504.

5– المصدر السابق، ص 504.

المبحث الثالث: الاستراتيجية التضامنية

1/ مفهومها:

هي الاستراتيجية التي «يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه له ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما»[1]. فالمرسل هنا يريد أن يتقرب من المرسل إليه، وفي نفس الوقت يحاول تقريبه إليه، بحيث يسعى إلى تأسيس هذه العلاقة بالتلفظ بالخطاب لمحاولة التقرب من المرسل إليه، وقد استعمل الباحثون في الاستراتيجية التضامنية عددا من المصطلحات لإيضاح بعد التضامن فاستعمل براون وجيلمان التضامن، أما براون ليفنسون استعمل البعد واستعمل ليتش البعد الاجتماعي[2]. يتضح هنا أن لكل واحد مفهوم محدد واختلفت آراؤهم حول ذلك لكن المفهوم الذي يقصدونه واحد، وعليه فإن الاستراتيجية التضامنية تكمن في رغبة المرسل إلى تقريب المرسل إليه، والمحافظة على العلاقة بينهما.

وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه:

كان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة : سعد، وسعيد، وساعدة. وكان أبوهم ذا شرف وحكمة، وكان يوصي بنيه، ويحملهم على أدبه، أما ابنه سعد فكان شجاعا بطلا من شياطين العرب، لا يقام لسبيله، ولم تفته طلبته قط، ولم يفر عن قرن؛ وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسؤدده. وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى وإخوان، فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال: " يا بني، إن الصارم ينبو، والجواد يكبو، والأثر يعفو[*1]؛ فإذا شهدت حربا فرأيت نارها تستعر، وبطلها يخطر، وبحرها يزخر، وضعيفها ينصر، وجبانها يجسر، فأقلل المكث والانتظار؛ فإن الفرار غير عار إذا لم تكن طالب ثأر؛ فإنما ينصرون هم[*2]. وإياك أن تكون صيد رماحها، ونطيح نطاحها.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 257.

2- (ينظر)، المرجع نفسه، ص 259.

*1- عفا الأثر: درس وامحى.

*2- أي طلاب الثأر.

وقال لابنه سعيد وكان جوادا: يا بني؛ لا يبخل الجواد، فابذل الطارف والتلاد[*1]، وأقلل التلاح[*2]، تذكر عند السماح، وابل [*3] إخوانك؛ فإن وفيهم قليل، واصنع المعروف عند محتمله.

وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب:

يا بني؛ إن كثرة الشراب تفسد القلب، وتقلل الكسب، وتجد اللعب[*4]؛ فأبصر نديمك، واحم حريمك[*5]، وأعن غريمك، واعلم أن الظمأ القامح[*6]، خير من الري الفاضح، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا[1].

تعددت مظاهر الحياة وتنوعت، فحظيت الوصايا بقسط وفير، وجاءت متنوعة ومتعددة بدورها، لم تكد تغفل جانبا من جوانب الحياة إلا وتطرقت إليه، ومن هذه الجوانب: الجانب الاجتماعي، فهذا النعمان بن ثواب العبدي يوصي أبناءه: سعد، سعيد، ساعدة ويحثهم على التحلي بالشرف والأدب.

فأما الأول كان صاحب شجاعة بطلا مغوارا لا يهاب الموت، ولا يتأخر عن الطلب في الحرب.

والثاني كان خليفة أبوه في حكمته وشرفه وأدبه.

والثالث كان صاحب شرب وندامى وإخوان.

ففي الاستراتيجية التضامنية يؤسس المرسل (النعمان بن ثواب العبدي) علاقته مع الآخرين (أبناءه)، وبهذا يكتسب أهمية في العلاقات الاجتماعية، حيث لا ينحصر دور

---

*1- الطارف والتلاد: المال المستحدث، والتالد، التليد، والتلاد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك.

*2- التنازع ولاحاه ملاحاة ولحاه نازعه.

*3- اختبر.

*4- أي تجعله جدا والجد ضد الهزل.

*5- الغريم: المدين.

*6- معناه العطش الشاق خير من ري يفضح صاحبه.

1- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 126-127.

الخطاب عندها في التبليغ فقط، بل يتجاوز إلى تأسيس العلاقات وتنقيتها والمحافظة عليها[1].

وبهذا فهو يؤسس لطبيعة العلاقة بين أبناءه والآخرين وانعكاسها على العلاقات الاجتماعية، فقد استخدم الموصي الموازنة العقلية ليقنع بنيه بما يريد في محاولة منه لتجميع طاقته المعرفية واللغوية في إيصال رسالته وتحقيق هدف وصيته.

إن النعمان استطاع أن يكون أهل نصح ومحل وعظ، وهذا راجع إلى ثقافته وخبرته العميقة التي أهلته لذلك، إذ كانت استراتيجيته في نصح أولاده تقتضي أن تكون الوصية من جنس صفات الابن، فكانت وصيته لصاحب الحرب حاشدة لمعاني كثيرة، فهو يقدم لابنه ما يجب فعله، ينصحه بأن دوام الحال من المحال، وأن لكل صارم كبوة، ولكل جواد كبوة، وأن الأثر لا يدوم وسيأتي يوما ويزول: «يا بني إن الصارم ينبو، والجواد يكبو، والأثر يعفو».

ولما كانت الوصايا الصادرة عن الآباء ملزمة في كثير من وجوهها فهي خطاب من يملك السلطة لمن عليه السمع والطاعة، وهذه السلطة موجودة خارج اللغة، إذ أنها عرفية متواضع عليها (السلطة الأبوية).

فالسلطة حسب ظافر الشهري عدم التوازن في القوى، حيث يكون أحد الطرفين فوق حد التوازن، فهي حين يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه، ويظهر عدم التوازن من مصادر عدة: قدرة الإنسان اللغوية، الوضع الاجتماعي، الفروق في العمر...الخ[2].

ويوصي النعمان صاحب الحرب عندما يكون في ساحة القتال، وعندما تشهد تلك الساحة اضطراب الموازين وانقلاب القوى فتشد نار الحرب ليصبح البطل خطيرا، ويزخر بحر تلك الحرب –ليصبح البطل خطيرا– لينتصر ضعيفها، ويجسر جبانها بأن يقلل الانتظار، ويفر إن كانت الفرصة سانحة لذلك، ولا يعد فراره عار، لأنه ليس من طلاب الثأر يقول: «فإن شهدت حربا فرأيت نارها تستعر وبطلها يخطر، وبحرها يزخر،

1– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 260.

2– المرجع نفسه، ص 244.

وضعيفها ينصر... وجبانها يحسر فأقلل المكث والانتظار، فإن الفرار غير عار إذا لم تكن صاحب ثار»[1]. ذلك لأن الشخص الذي يكون عليه ثأر ويفر فراره ذلك يحسب عليه عارا ويصنف في خانة الجبناء.

ويوصي الابن الجواد (سعيد) بأن هذا الأخير لا يكون بخيلا، لأنه يبذل المال القديم والمستحدث، ويحثه بأن يقلل التنازع الذي يفرق الجمع ويشتت الشمل، ليجعله يذكر في مجالس السماح يقول: «يا بني لا يبخل الجواد، فابذل الطارف والتلاد، وأقلل التلاح، تذكر عند السماح»[2]. إن الأمر بفعل الخير للناس مبدأ أساس يحكم وصية النعمان لابنه الجواد، ولأن هذا الأخير نظرا لصفته وجب عليه أن يكون مانعا للخير كل ما كان باستطاعته فعل ذلك وفي طاقته وقدراته المادية أو المعنوية: «... واصنع الخير عند محتمله»[3].

إن كل خطاب ينشد تحقيق مقصد معين، باعتباره نصوص وملفوظات صادرة عن شخص قد لا يصرح عن المقاصد، وعلى المحلل في هذا المجال أن يبحث في هذه المقاصد في كل شبر من ملفوظات المتكلم تقول "آن روبول": «إنه لمن تحصيل الحاصل أن نقول إن مفهوم الحالة الذهنية أو بمعنى أدق القصد يشكل محور انتاج وتأويل الملفوظات»[4].

ولما كانت الوصايا خطابات، والخطابات لها مقاصد ها هنا اجتماعية بالدرجة الأولى فيها أخلاقيات الجود والكرم ونشر قيم التسامح ومبادئ التصالح وصنع للمعروف وإغاثة للملهوف.

2- وسائلها:

ويوصي النعمان ابنه صاحب الشرب والندامى (ساعدة) في حالة وعيه بأن كثرة الشراب تفسد القلب، وتقلل الكسب، وتجد اللعب، وتظهر من هنا ومن خلال تراتبية

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 128.

2- المصدر نفسه، ص 128.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 128.

4- عمر بلخير، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقفع، ص 253.

الحجج نظرية السلالم الحجاجية التي تعتبر الوسيلة اللغوية الوحيدة للاستراتيجية التضامنية وهي علاقة تراتبية للحجج ويمكن أن نرمز لها كالآتي:

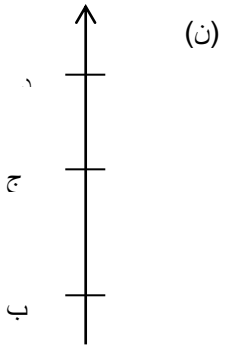

"ب" و"ج" و"د" حجج وأدلة مستخدمة للنتيجة (ن) [1].

وبالتطبيق على تراتبية حجج الوصية نجد:

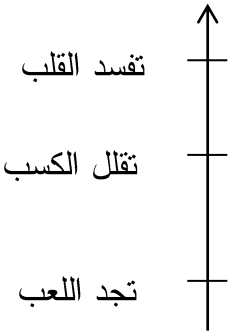

كثرة الشراب

[2].

وفي حالة غياب وعي الابن وعندما يكون في سكرة الشراب يوصيه النعمان بأن يراقب نديمه الذي يكون مجالسه في الشرب، وأن يحمي حريمه، ولأنه غالبا ما تنتهي جلسات السكر والأنس هذه بالوصول إلى المحارم وانتهاك الأعراض، وأن يعين غريمه لأنهما في المركب معا، وحتما أن أحدهما سيحتاج للآخر يوما ما.

يقول: «فأبصر نديمك واحم حريمك، واعن غريمك»[3].

1- أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، منتديات سور الأزبكة، درب سيدنا، ط 01، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 20.

2- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 128.

3- المصدر نفسه، ص 128.

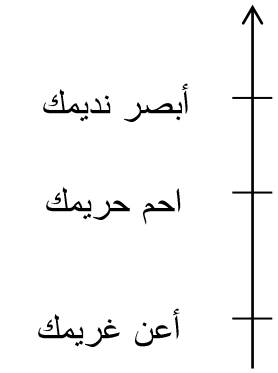

[1].

فإن الإبصار إلى النديم في مجال السكر والزندقة ومتابعته فيه حماية للحريم، وإغاثة للغريم.

وفي مجال نسبة الشرب التي تتراوح بين العطش الشاق، والري الفاضح لصاحبه يوصيه بأن الأول أفضل من الثاني، وذلك لأن هذا الأخير فيه غياب عن الوعي، وبالتالي فضح للأسرار، ولما يخفيه اللسان، وكل ما يختلج الصدور، وكانت ثمة حواجز تمنع تلك المكنونات من الخروج، فالابن يشرب فيسكر فيفضح: «... واعلم أن الظمأ القامح خير من الري الفاضح»[2].

ولما كان الشعر والأدب أفضل الوسائل الوعظية، وكان السكير لا يفيق من سكرة الشراب إلا بمواعظ الأدباء والعلماء، نجد النعمان يوصي ابنه بالتوجه إلى الشعر، لأن فيه مقصدا وغاية يقول: «وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا»[3].

إن المقصد في هذه الوصية يدخل ضمن المقاصد الأخلاقية يتمثل في الترشيد الأخلاقي، الرسالة التي بعث بها النعمان إلى أبنائه الثلاثة، وذلك لأن حال الأبناء له من مرشد يجعل الأحوال تنتقل من الحسن إلى الأحسن، وبالنسبة لحال ساعدة السكير الذي كان في اعوجاج دائم ولا بد له من استقامة في الأحوال.

ومما يكسب الوصية قوة حجاجية أو يضاعف قوتها، صدورها عن ذات حكيمة عمرت طويلا في الحياة، وعلمت منها فاكتسبت بذلك معرفة لم تكتسبها عامة الناس،

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 128.

2- المصدر نفسه، ص 128.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 128.

وعلى هذا الأساس حين تصدر الوصية عن شيخ حكيم ذي شرف وأدب تكتسب قوة وقدرة على النفاذ إلى الأذهان والنفوس، ومن هنا نستطيع أن نقول أن الأب استطاع أن يستخدم بحنكته استراتيجية تضامنية، حيث حاول من خلال وصيته لأبنائه أن يحدد رغبة كل واحد منهم، وأوصى كل واحد بما يقنعه من خلال التقرب من كل ابن وتشخيص رغباته ووصيته وفقا لرغبته، لذلك لم يجعلها وصية واحدة عامة، وإنما أوصى كل واحد بما يفقه متخذا بذلك حججا إقناعية متسلسلة وفق سلالم حجاجية، وكأنه يقول لكل واحد أنا لا أمنعك مما تحب، ولكن احذر أن تقع في ما يجعلك عرضة للهلاك.

وفي ختام هذا الفصل توصلنا إلى:

- أن الاستراتيجية التوجيهية تكمن في فرض المرسل سلطته على المرسل إليه من خلال خطاباته، وذلك لتبليغ قصده بغية تحقيق أهدافه.
- للاستراتيجية التوجيهية وسائل متعددة منها:

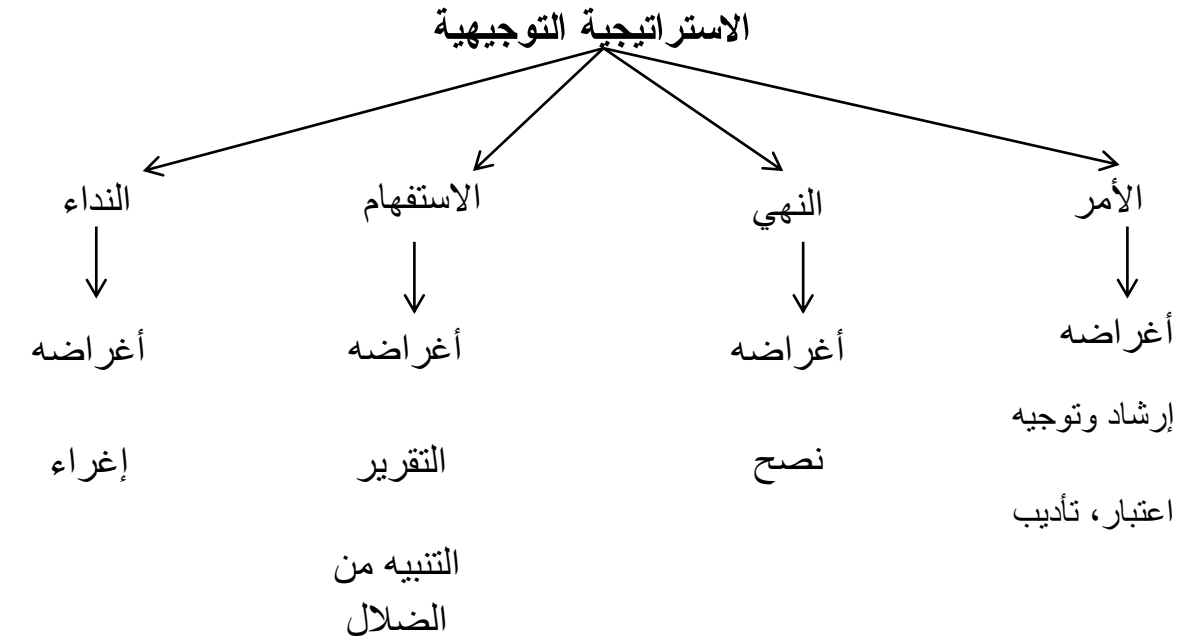

- إن الاستراتيجية التلميحية هي التي يعبر بها المرسل عن المقصد بما يغاير معنى الخطاب العرفي، ولها وسائل من بينها الاستعارة والكناية.
- بينما الاستراتيجية التضامنية هي التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها.

الفصل الثاني:

استراتيجية السياق

في الوصايا الوعظية

1- مفهوم السياق:

يعد السياق من العوامل الأساسية التي تحدد مقاصد الخطاب، ذلك أن كل المعاني والمقاصد، لابد لها من سياق معين ترد فيه.

1-1- لغة:

يعرف ابن منظور السياق في معجمه لسان العرب عندما أدرجه في مادة سوق، فيقول: «ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق،... وساق إليها المهر سياقا وأساقه... وساق خلال من امرأة أي أعطاها مهرها، والسياق: المهر... وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت، ويقال فلان في السياق: أي في النزع أثناء الموت، والسياق نزع الروح»[1].

نلاحظ أن مادة "السياق" عند ابن منظور جاءت في ثلاث معان هي: قاد، أعطى، نزع.

ويقول ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء... والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها»[2].

إن السياق في الدلالة اللغوية عند ابن فارس يدل على انتظام متواصل في حركة دائمة لبلوغ هدف محدد.

ويرى الفيروز أبادي أن السياق: «مأخوذ من أسواق الدابة سوقا، وسوق الحرب حومته، وتساوقت الإبل "تتابعت وتقاودت"»[3].

1- ابن منظور، لسان العرب، ج03، دار الخيل، ط01، بيروت، لبنان، 1988، ص 242.

2- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، ط02، لبنان، 1998، ص 498.

3- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط02، بيروت، لبنان، 1987، ص 1156، 1157.

فالمعنى اللغوي للسياق يدور حول مصاحبة الشيء لشيء آخر يكون دليل له، ويستلزم فيه معنى المتابعة، ذلك أن الإبل صاحبها يقودها ويتبعها، ولا شك أن الفيروز أبادي بقوله سوق الحرب حومته، أي ما يحوم على الحرب وما يحيط بها.

1-2- اصطلاحا:

يعتبر السياق (Contexte) من بين أهم العناصر التي تعنى بتحليله مختلف الدراسات التداولية، إذ أنه «المحيط الملموس الذي تستعمل فيه الكلمة»[1]. ذلك أنه يختص بوضعية الخطاب وما يحيط بها من ملابسات (زمان ومكان) بينما جون دوبوا يعرفه بقوله أنه: «الوضعية الملموسة التي تصاحب انتاج أفعال اللغة المتعلقة بالمكان والزمان وهوية المتكلمين»[2].

يقصد به الوسيلة التي تحيط بالخطاب بما فيها من ظروف وملابسات (زمان ومكان...الخ). فالمرسل من خلال سياقه يصل إلى الهدف المراد الذي يريده، بينما جون جوبوا يعرفه بقوله: أنه جملة الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة[3]. وهي العوامل المشتركة بين المخاطب والمتلقي والمحيط الثقافي والمعطيات الشائعة بينهما، والسياق أيضا «عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى»[4]، حيث أنه يخص بوضعية الخطاب وما يشتمل عليه من ظروف (زمان ومكان).

ويساعد المتكلم على التأويل والوصول إلى هدفه الذي يسعى إليه، ومن معاني السياق أيضا أنه: عنصر ما هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر، ويستعمل السياق بحسب

1- جورج يول، التداولية "ترقصي العنابي"، دار الأمان، ط01، الرباط، 2010، ص 186.

2- فرانسوا أزارمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، د.ط، مكتبة الأسد، 1985، ص 04.

3- (ينظر)، حامدة ثقبايت، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2012، ص 18.

4- حافظ إسماعيل علوي وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط01، الأردن، ص 363.

المؤلفين الإحالة خاصة إما على المحيط اللغوي وإما على مقام التخاطب[1]، ويعرفه جميل صليب في معجمه الفلسفي بقوله: «سياق الكلام أسلوبه ومجراه، تقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص»[2].

ويقصد بالسياق: «البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنيوية الصغرى أو بالكلمة أو بالجملة، ويعني الوحدات التي تسبق وتلي وحدة لغوية، كما يعني هذا التعبير –سياق– مجموعة من العوامل التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي»[3].

ومن هنا يتضح أن المعنى الاصطلاحي للسياق يدور حول مجموع العوامل التي تحيط سياق الكلام، والتي تتفق مع ما في النص.

المبحث الأول: السياق المقامي

يتضمن السياق المقامي مرسل ومرسل إليه ورسالة، ويتميز المقام بالاعتراف به اجتماعيا بصفته يؤدي إلى غاية معينة، إذ يذهب ليتش إلى: «أن كل قول يحمل بشكل نمطي في مقام خطابي وذلك ضمن العوامل التالية:

السياق المقامي الذي يظهر فيه الخطاب

مرسل رسالة مرسل إليه»[4]

1– (ينظر) دومينيك ما نغونو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، ط01، تونس، 2008، ص 133.

2– جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، المجلد 01، د.ط، بيروت، لبنان، 1982، ص 681.

3– مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، إنجليزي، عربي، دار الفكر اللبناني، ط01، بيروت، لبنان، 1995، ص 61.

4– محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 302.

فالرسم يتضمن المرسل الذي يؤدي برسالته إلى المرسل إليه ذلك بهدف معين، وأثناء الخطاب يكون المرسل والمرسل إليه على معرفة جيدة بالرسالة ذلك أثناء التبادل اليومي فإن الكاتب لا يفقه في بعض الحالات شيئا من المتلقين المقترضين إذ أنه «يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصا أحدهما فاعل حقيقي والآخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلم والمخاطب»[1]، حيث يشكل طرفي الخطاب أساس العملية التواصلية، كما يتحدد (المخاطب والمخاطب) في موقف سياقي ما، يقوم على انتقاء ما يتوافق مع الوضع الذي يعشانه، وهذا ما نجده في الوصايا الوعظية.

فالموصي يتضح الطرف الآخر مراعيا مقتضى الأحوال فمثلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي بضرورة الجهاد، ويؤكد عليه نظرا لاعتباره مبدأ أخلاقي ذكره الله في كتابه وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول في وصيته رضي الله عنه عند عقد الألوية: «بسم الله وبالله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، وما النصر إلا من عند الله، ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجتنبوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوفوا قتلهم إذ التقى الزحمان وعند شن الغارات»[2].

وجدير بالذكر أن المتخاطبين يخضعان إلى جملة من القواعد يحكمها سياق التكلم فمثلا قول المتكلم (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا[3]، لا تكتسب هذه المقولة قوتها الإنجازية إلا بوجود سلطة معينة يملكها المتكلم (الخليفة) تسمح له بأمر مخاطبه المجاهدين وفق هذا الشكل.

وليضمن المرسل نجاح العملية التواصلية يجب عليه مراعاة حال السامع فيجعل لكل مقام مقال، إذ أن سياق الجهاد، والأمر الذي فرض على عمر بن الخطاب رضي الله

1- شيتر رحيمة: تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008-2009، ص 211.

2- أحمد زكي صفوت، جمرة خطب العرب، المجلد 01، ص 227.

3- المصدر نفسه، ص 277.

عنه طريقة معينة يتحدث بها إليهم، فيوصيهم بقوله: امضوا بتأييد الله، وما النصر إلا من عند الله... فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[1].

فالتأييد والنصر والقتال كلها تدخل ضمن سياق الجهاد في سبيل الله، إذ أن عوامل السياق المقامي حسب ليتش هي:

1- المرسل: وهو صاحب الرسالة كما أنه «الشخص أو الجهة التي ترغب في نقل أو توصيل رسالة معينة عبر قناة الاتصال ليختارها المرسل إلى المستقبل، وتبدأ عملية الاتصال من المرسل، والذي تكون لديه فكرة أو موضوع معين يريد توصيله إلى المستقبل»[2]، معنى ذلك أن المرسل يريد توصيل رسالة ما إلى المرسل إليه من أجل هدف معين بحيث يكون على دراية بتلك الفكرة المراد توصيلها.

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو المرسل في هذه الوصية، وقد نصح بضرورة الجهاد في سبيل الله عز وجل مستعملا في ذلك أسلوب الأمر في قوله: (امضوا، قاتلوا، توقوا) فهو يدعوا قومه إلى قيمة أخلاقية وسلوكية، وهي كفيلة بالمحافظة على مبدأ أساسي من مبادئ الدين الإسلامي ألا وهو الجهاد في سبيل الله، ولكن ضمن حدود الشرع ومراعاة السياق الإسلامي للحرب الذي لا يتخذ من الجهاد اعتداء على الضعفاء من الشيوخ والنساء وإنما لمقاتلة من يقاتلونهم ويمنعون السلم والسلام.

2- المرسل إليه: وهو الذي يستقبل أو يتلقى الرسالة كما أنه «الشخص أو الجهة التي تستقبل محتويات الرسالة من خلال قنوات الاتصال التي استخدمها المرسل»[3]، والمرسل إليه في الوصية هم المجاهدون الذين أوصاهم الخليفة بالجهاد.

1- المصدر السابق، ص 227.

2- مصطفى رسلان شلبي وآخرون، مهارات الاتصال باللغة العربية، الإمارات العربية المتحدة، ط01، دبي، 2008، ص 30.

3- المرجع نفسه، ص 31.

3- الرسالة: وهي فحوى كالموضوع وتتمثل أيضا في «المحتوى الفكري والمعرفي الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المستقبل، وهو الهدف الذي تسعى الرسالة إلى تحقيقه»[1]، ويكمن هنا هدف الرسالة في الجهاد في سبيل الله بحيث يمكننا أن نستنتج العوامل الآتية:

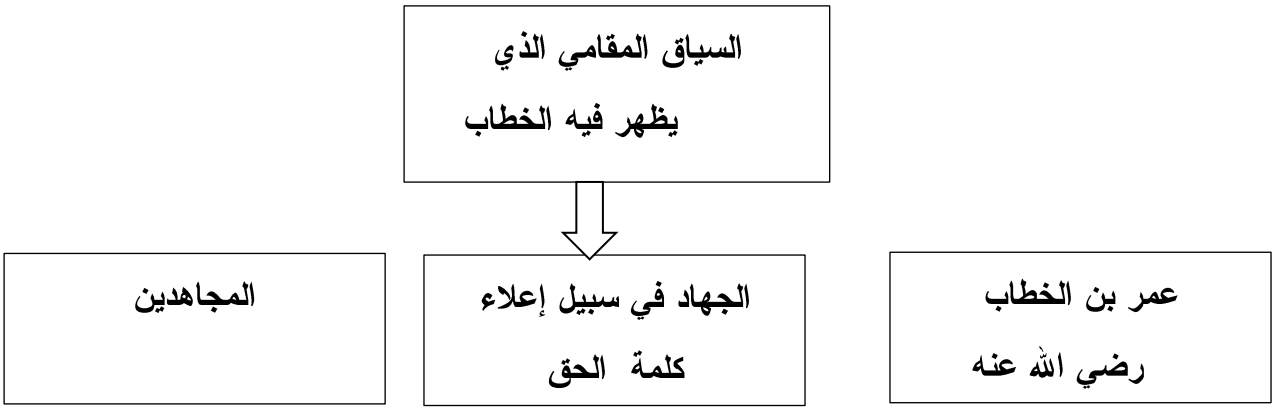

فالمقام مقام جهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، والقتال يستثني المرأة والشيخ الهرم والنباتات أي أنه قتل دون فساد.

1- المرجع السابق، ص 31.

المبحث الثاني: السياق الوجودي

يعد السياق الوجودي من أهم السياقات التي تهتم بتحليل الخطاب فهو يتضمن عالم الأشياء، حالتها، الأحداث، والتي ترجع إليها التعبيرات اللغوية، كما يتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل والمرسل إليه، وكذلك موقعهم الزماني والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي[1].

يدرس ما يحيط بعالم الأشياء وما يجاورها بالإضافة إلى عنصري الزمان والمكان، باعتبار ما لهما من أهمية بارزة في الخطاب كونها تؤثر في التعبيرات اللغوية للمرسل.

كما يسمح التخاطب الفعال بين طرفي الخطاب (المخاطب والمخاطب) من رسم صورة عن محيطهم، فكلام كل من دويد بن زيد وقيس بن عاصم المنقري، يعكس صورة عن خلفياتهم الاجتماعية وتجاربهم في الحياة، مما يعكس أيضا سياقا لغويا فرض عليهم لغة معينة.

وصية دويد بن زيد لبنيه:

لمَّا حَضَرَتْ دُوَيْدَ بنَ زَيْدٍ الوَفَاةُ قال لبنيه:

أُوصِيكم بالنّاسِ شَرًّا، لا تَرْحَمُوا لهم عَبْرَةً، ولا تُقِيلُوهم عَثْرَةً[*1]، قَصِّرُوا الأَعِنَّةَ، وطَوِّلوا الأَسِنَّةَ واطْعَنُوا شَزْرًا[*2]، واضْرِبُوا هَبْرًا[*3]، وإذا أردتم المَحَاجَزَةَ فَقَبْلَ المَنَاجَزَةِ، والمَرْءُ يَعْجَزُ لا المَحَالَةَ ، بالجِدِّ لا بالكَدِّ، التَّجَلُّدُ ولا التَّبَلُّدُ، والمَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، ولا تَأْسَوا على فَائتٍ وَإِنْ عَزَّ فَقْدُهُ، ولا تَحنُّوا إلى ظَاعِنٍ وإِنْ أُلِفَ قُرْبُهُ، ولا تَطْمَعُوا فَتَطْبَعُوا[*4]، ولا تَهِنُوا فَتَخْرَعُوا[*5]، ولا يكونَنَّ لكم المثلُ السَّوءِ.

1- عبد الهادي بن ظافري الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 42-43.

*1- أقال الله عثرته: رفعه من سقوطه.

*2- الطعن في الجوانب يمينا وشمالا.

*3- هبر اللحم: قطعه قطعا كبارا.

*4- الطبع حركة الدنس.

*5- الوهن : الضعف.

إنَّ المُوَصَّينَ بنو سَهْوَانَ(*1)، إذا مِتُّ فأَرْحِبُوا خَطَّ مَضْجَعِي، ولا تَضِنُّوا عَلَيَّ بَرَحْبِ(*2) الأرضِ، وما ذلك بِمُؤَدٍّ إلى رُوحِي(*3)، ولكنْ حاجةُ نَفْسِ خَامَرَها الإشفاقُ. قال أبو بكر بن دريد في حديث أخر: إنه قال:

اليومَ يُبْنَى لِدُويدٍ بَيْتُهُ يَارُبَّ نَهْبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ

وَرُبَّ قِرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُـــهُ

ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ لو كان للدّهرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

أو كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ[1].

وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه:

«يا بني خذوا عني فلا أحد أصلح لكم مني، إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم، فسودوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم، خلفوا آباءهم ولا تسودوا أصغركم فإن القوم إذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم، وإياكم ومعصية الله، وقطيعة الرحم، وتمسكوا بطاعة أمرائكم، فإنهم من رفعوا ارتفع، ومن وضعوا اتضع، وعليكم بهذا المال، فاصلحوه فإنه منبهة للكريم، وجنة لعرض اللئيم، وإياكم والمسألة فإنها أخر(*4)، كسب الرجل، فإن أحداً لم يسأل إلا ترك كسبه، وإياكم والنياحة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عنها، وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فإني كنت أعاديهم في الجاهلية، وبيننا وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام ، فأخاف أن يدخلوا عليكم فيعيبوا عليكم دينكم، وخذوا بثلاث خصال: إياكم وكل عرق لئيم أن تلابسوه، فإنه إن يسرركم يوماً، فسوف يسؤكم يوماً، واكظموا الغيظ، واحذروا بني أعداء آبائكم، فإنهم على منهاج آبائهم لآبائكم. ثم قال:

---

*1- الوهن الضعف.

*2- جميع الناس لأن كلهم يسهو.

*3- وصف.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 124-125.

*4- آخر بمعنى أدنى وأرذل.

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباء أبناء»[1].

وفي هذ المجال سنحاول المقارنة بين وصيتين مختلفين في السياقات، وصية دويد بن زيد لبنيه، وهذا كان في العصر الجاهلي، ووصية قيس بن عاصم المنقري، وهذا كان مزامنا لصدر الإسلام.

فهذا دويد يوصي أبنائه بالناس شرا، فلا رحمة ولا شفقة حتى إن سقطوا لا ترفعوهم من سقوطهم، وطولوا أسنتكم، واطعنوا فيهم يمينا وشمالا، وقطعوهم قطعا قطعا يقول: «أوصيكم بالناس شرا، لا ترحموا لهم عبرة، ولا تقيلوهم عثرة، قصروا الأعنة، وطولوا الأسنة، واطعنوا شزرا واضربوا هبرا»[2].

وبالمقارنة يوصي قيس بن عاصم أبنائه بأن يأخذوا عنه وصيته، فلا أحد يحب مصلحتكم أكثر مني، وهذا تبعا لتغير الزمان والمكان، إن صار وإن دفتموني فاذهبوا إلى أحوالهم وشؤونكم، واجعلوا كبيركم سيدا لتكونوا خلفاء آبائكم، ولا تجعلوا صغيركم يتقلد مناصب الحكم والسيادة، لأنه لا خير في قوم يقوده أصغرهم يقول: «يا بني خذو عني، فلا أحد أصلح لكم مني، إذا دفنتموني فاذهبوا إلى رحالكم، فسودوا أكبرهم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا آبائهم، وإذا سودوا أصغرهم، أزرى بهم في أكفائهم»[3].

ومن هنا نستنتج أن كل أب أوصى أولاده نظرا لموضعه الحجاجي الذي استند إليه من حيث الخبرة والتجربة، والسياق الوجودي الذي يحكم الوصية، فالأول إنسان جاهلي النسب يحكمه قانون الغابة، الذي يقتضي بأن القوي يأكل الضعيف، وهو السائد في تلك الفترة، وكان الهدف الوجودي عندهم هو الحياة من أجل الغلبة والإغارة، فعندما قال قصروا الأعنة، وطولوا الأسنة، واطعنوا شرزا، واضربوا هبرا فهو قصد كل الناس دون استثناء للمرأة والطفل والشيخ.

لأن هدفه الأول تحقيق الغلبة، في حين أن الثاني مسلم مقيد تحكمه مبادئ الدين الإسلامي ولا يمكنه تجاوزها، لأن في ذلك كفر وعصيان، حتما سينعكس هذا الدين في

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 171-172.

2- المصدر نفسه، ص 171.

3- المصدر السابق، ص 171.

وصيته لأبنائه، والهدف الوجودي عنده هو نصح أولاده وتوجيههم بما يرضي الله عز وجل، فالسياق ها هنا سياق إسلامي بالدرجة الأولى، يعكس أسس الدين الإسلامي، فعندما قال، إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم، فسودوا أكبركم بمعنى ارضوا بقضاء الله عز وجل خيره وشره إذا أن الحياة لا تتوقف عند وفاتي أنا.

يوصي دويد بنيه بأنهم إذا أرادوا المحاجزة، فذلك يكون بالجد لا بالكد، ويوصيهم بالموت ولا الدنية والذل، ولا تأسفوا على ما فات، لأنه انقضى وهان، حتى وإن كان الشخص المفقود عزيز عليكم، ولا تتعودوا على أحد ألفتم قربه، ويوصيهم كذلك بالبعد عن الطمع لأنه يضعف الإنسان ويعمي بصيرته: «وإذا أرتم المحاجزة، فقبل المناجزة، والمرء يعجز لا المحالة، بالجد والكد، التجلد ولا التبلد، والمنية لا الدنية، ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده ولا تحنوا إلى ضاغن وإن ألف قربه، ولا تطمعوا فتطبعوا، ولا تهنوا فتخرعوا»[1].

فدويد يوصي أبنائه بهذه الوصية، نظرا لما كان يعيشه هو في العصر الجاهلي، العصر الذي كان يسوده الظلم والجور، وتغيب فيه القيم والمبادئ الإنسانية والغلبة تكون للقوي على حساب الضعيف.

وفي جانب العبادات والمعاملات يوصي قيس بن عاصم أولاده، ويحذرهم من معصية الله، ومن قطع صلة الرحم، ويحثهم على طاعة أولى الأمر: (الله، الرسول، الأمراء، الآباء)، وذلك لأنهم إذا رفعوا أحد ارتفعت منزلته وحضي بمكانة مرموقة في المجتمع، ومن وضعوا بقي في الدرجات السفلى يقول: «... وإياكم ومعصية الله، وقطيعة الرحم، وتمسكوا بطاعة أمرائكم، فإنهم من رفعوا ارتفع، ومن وضعوا اتضع»[2].

فالمرسل (قيس بن عاصم) يوصي أولاده، محاولا إرساء مبادئ الدين الإسلامي، حيث كان شديد الحرص في توصية أولاده بخشية الله عز وجل ووصل صلة الرحم، والتمسك بالطاعة، وهذا راجع إلى العصر الذي عاش فيه –صدر الإسلام– أينما وجدت

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 124–125.

2– المصدر نفسه ، ص 172.

القيم الإنسانية، وحلت المساواة بين الناس امتثالا لأوامر الله عز وجل واتباع لقدوة البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

ويوصي (دويد) المرسل إليه (الأبناء) بأن لا يكونوا مثلا سيئا، وألا يسهو كالناس جميعا، وإذا فارق الأب الحياة ما على الأولاد إلا أن يوسعوا قبر الميت لا للزيادة في العمر وإرجاع الروح، ولكن لغاية في نفس الميت (الأب) وإشفاقا عليه يقول: «... ولا يكونن لكم المثل السيء "إن الموصين بنوا سهوان" إذ مت فأرحبوا خط مضعجي، ولا تضنوا علي

برحب الأرض، وما ذلك بمؤد إلي روحا، ولكن حاجة في نفس خامرها الإشفاق»[1].

ويوصي المنقري أبنائه بالحفاظ على المال وإصلاحه ويحذرهم من سؤال الناس، لأنه مذلة، كما يحذرهم أيضا من النياحة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها، وأوصاهم بأن يدفنوه في ثيابه، التي كان يصلي ويصوم فيها، وبأن لا يعطوا خبر مدفنه لبكر بن وائل، نظرا للمشاحنات التي كانت بينهم في الجاهلية والإسلامية، وهذا كله خوفا من أن يلحقوا به عارا يقول: «... وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم، وجنة لعرض اللئيم، وإياكم والنياحة فإني سمعت رسول صلى الله عليه وسلم نهى عنها، وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي وأصوم فيها، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني، فقد كانت بيني وبينه مشاحنات في الجاهلية والإسلام، وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عارا»[2].

وفي النهاية ترك المرسل للمرسل إليه ثلاث خصال، إذ نجده حذرهم من العرق اللئيم وحثهم على كظم الغيظ، وحذرهم بني أعداء الآباء لأنهم، حتما سيسيرون وفق نهج الآباء، مستشهدا في الأخير بيت شعري ليدعم نصائحه، ويقنع أبنائه بمراده، يقول: «... وخذوا عني ثلاث خصال: إيا كم وكل عرق لئيم، أن تلاسبوه فإنه يسرركم اليوم، يسؤكم غدا، واكظموا الغيظ، واحذروا بني أعداء آبائكم، فإنهم على منهاج آبائهم»، ثم قال:

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 172.

2- المصدر نفسه، ص 125.

أحيا الضغائن لنا سلفوا فلن تبيد وللآباء أبناء[1].

ومما سبق ومن خلال المقارنة بين الوصيتين نستنتج أن زمن العصر الجاهلي يختلف عن زمن صدر الاسلام، وهذا الاختلاف أدى بدوره إلى اختلاف القيم والمبادئ والأهداف وبالتالي اختلاف في السياق الوجودي للوصيتين والذي نترجمه كالآتي:

	الوصية 01	**الوصية 02**
الزمان	العصر الجاهلي	صدر
المرسل	الأب (دويد بن زيد)	الأب (قيس بن عاصم المنقري)
المرسل إليه	الأبناء[2]	الأبناء[3].
سياق الوصية	السياق الوجودي في هذه الوصية ليس النصح من أجل النصح، وإنما من أجل تحقيق الهدف الغلبة والمصلحة الشخصية	السياق الوجودي في هذه الوصية هو النصح من أجل الترشيد الأخلاقي، وعيش الأولاد في مرضاة الله عز وجل

مع مجيء الإسلام تغيرت الأزمنة والأمكنة وتغيرت كذلك القيم، فعبد أن كان الجاهلي يدفن البنت وهي حية، أصبح في العصر الإسلامي وبعد إسلامه يعامل تلك الموؤودة بطريقة أخرى، إذ أن الوصايا اختلفت باختلاف العصور والأزمان، وهذا ما لاحظناه في وصية كل من دويد بن زيد وقيس بن عاصم المنقري لأبنائهم.

يوصي الحرث بن كعب بنيه فقال:

«يا بني، قد أتت علي مائة وستون سنة، ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت لنفسي بخلة[*1]، فاجر.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 124.

2-المصدر نفسه، ص 172.

3- المصدر السابق، ص 171.

*1- الخلة: الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف.

ولا صبوت بابنة عم ولا كنة[*1]، ولا بحت لصديق بسر، ولا طرحت عن مومسة قناعا، ولا بقي على دين عيسى بن مريم –وروي على دين شعيب– من العرب غيري وغير تميم بن مرة وأسد بن خزيمة، فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي، وإلهكم فاتقوا يكفكم ما أهمكم ويصلح لكم حالكم، وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار، وتوحش منكم الديار، كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا، وبزوا قبل[*2]، أن تبزوا، فموت في عز خير من حياة في ذل وعجز، وكل ما هو كائن ، وكل جمع إلى تباين، والدهر ضربان : ضرب بلاء، وضرب رخاء.

واليوم يومان :يوم حبرة، ويوم عبرة

والناس رجلان : رجل لك، ورجل عليك.

زوجوا النساء الأكفاء وإلا فانتظروا بهن القضاء، وليكن أطيب طيبهن الماء

وإياكم والورهاء[*3]؛ فإنها أدوأ الداء، وإن ولدها إلى أفن[*4]يكون.

لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم، وآفة العدو اختلاف الكلمة.

والتفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة دخول فيها، وعمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد ويمحق العدد.

والإسراف في النصيحة هو الفضيحة، والحقد يمنع الرفد، ولزوم الخطيئة يعقب البلية، وسوء الرعة[*5]، يقطع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التباين.

يا بني، إني قد أكلت مع أقوام وشربت، فذهبوا وغبرت، وكأني بهم قد لحقت.

ثم قال:

أكلت شبابي فأفنيتـــه وأبليت بعد دهور دهورا

---

*1– الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

*2– بزه: سلبه.

*3– الحمقاء: من وره كفرح: حق فهو أوره.

*4– ضعف الرأي والعقل.

*5– الرعة: الطريق.

ثلاثة أهليـــــن صاحبتهم فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا

قليل الطعام عسيـــر القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا

أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمري بطونـــــا ظهورا[1].

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 122-123.

المبحث الثالث: السياق النفسي

يعد السياق النفسي من السياقات المتداخلة والمترابطة، فلا يستغني أي منها عن الأنواع الأخرى إذ أن: «اعتبار الخطاب فعلا، وأن الفعل اللغوي قصد مشروط، يقود إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة، لتصبح المقاصد والرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل، وهذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف، والتفسير التداولي، بوصفها السياق النفسي لانتاج اللغة وفهمها»[1].

يتمحور السياق النفسي حول المقاصد والعوامل الذهنية والنفسية، إذ أنه يعبر عما يشعر به، وهذا الحرث بن كعب، استهل في وصيته لبنيه بحديثه عن سنه الذي يترجم تجاربه وخبراته في الحياة، فالشخص الذي عاش مائة وستون سنة حتما سيكون صاحب حكمة وحنكة، خبيرا بشؤون الدنيا، عالما بأجناس الناس، واعيا لطرق التعامل معهم يقول: «يا بني قد أتت على مائة وستون سنة»[2].

فالسياق النفسي هنا يتعلق بطرف مهم من أطراف الخطاب، وهو المتكلم الذي يحظى بحضور قوي في بداية هذه الوصية.

تبدأ الوصية بحديث المرسل عن نفسه، وعن مبادئه التي كانت تحكم حياته، حيث أن يده لم تصافح يوما إنسانا غدر بأخيه الإنسان، وأن نفسه لم تقنع بالصداقة المختصة لا التي تكون في عفاف ولا التي في دعارة، ولم تصبوا بابنة عم، ولاكنة، ولم تبح النفس بسر مكتوم، ولم تعتد على امرأة يقول:

«... ما صافحت يميني يمين غادر، ولاقنعت لنفسي بخلة فاجر، ولا صبوت بابنة عم ولاكنة، ولا بحث لصديق بسر، ولا طرحت عن مؤمسة قناعا»[3].

يوصي الحرث بن كعب أبنائه باتباع شريعته والموت عليها، حيث أنه لم يبق على دين عيسى بن مريم من العرب، غير الأب وتميم بن مرة، وأسد بن خزيمة: «ولا بقي

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 44.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.

3- المصدر نفسه، ص 122.

على دين عيسى بن مريم، وروى: على دين شعيب من العرب غيري، وغير تميم بن مرة، وأسد بن خزيمة، فموتوا على شريعتي»[1].

يشدد المرسل على أبنائه أهمية حفظ الوصية عنده، كما يؤكد على اتباع الإله، لأنه يكفي الهم، ويصلح الحال: «... واحفظوا وصيتي، وإلهكم فاتقوا، يكفيكم ما أهمكم، ويصلح لكم حالكم»[2].

يحذر بن كعب بنيه من المعصية، لأنها تورث الدمار وتوحش الديار، كما يوصيهم بأن يكونوا يدا واحدة ولا يتفرقوا، وأن يغلبوا قبل أن يغلبوا، وأن يسلبوا قبل أن يسلبوا، وذلك تجنبا للذل والعجز لأن الموت في عز خير من حياة الذل والخضوع يقول: «وإياكم ومعصية الله، فيحل بكم الدمار، ويوحش منكم الديار، كونوا جميعا وتفرقوا، فتكنوا شيعا، وبزوا قبل أن تبزوا، فموت في عز خير من ذل وعجز»[3].

والسياق النفسي هنا يتعلق بطرف آخر مهم من أطراف الخطاب وهو المخاطب (المرسل إليه) الأبناء.

لم يغفل الحرث بن كعب في وصيته جانب قبول الواقع كما هو، والتعايش مع ما هو كائن حيث نجده يوصي الأبناء بأن الناس أجناس، والدهر فيه بلاء ورخاء، واليوم: عبرة يعتبر بها الآخرين، وحبرة تقي المرء من الوقوع في الخطأ، والناس رجلان: رجل لك يكون سندا في الصراء والضراء، ورجل عليك يكون ضد لك: «... وكل ما هو كائن كائن، وكل جمع إلى تباين، والدهر ضربان، ضرب بلاء، وضرب رخاء، واليوم يومان، يوم حبرة، ويوم عبرة، والناس رجلان، رجل لك، ورجل عليك»[4].

كذلك نجد بن كعب يوصي بتزويج النساء الأكفاء أو انتظارها سيحل بهن من قضاء، ويحذر من الحمقاء لأنها داء لا دواء له، فحتى أولادها يكونوا ضعفاء الرأي

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.

2- المصدر نفسه، ص 122.

3- المصدر السابق، ص 122.

4- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.

والعقل معا يقول: «... وزوجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بهن القضاء، وليكن أطيب طبيبهن الماء، وإياكم والورهاء، فإنها داء أدوأ الداء، وإن ولدها إلى أفن»[1].

إن قطع صلة القرابة، والاختلاف بين القوم هو أكبر عدو لهم، والحسنة تقي من السيئة، هكذا أوصى المرسل أبنائه، وأضاف بأن العمل السيء وانتهاك الحرمة يزيل النعمة عن البشر، وقطع صلة الرحم تورث الهم، وعقوق الوالدين يعقب النكد، ويخرب البلد، الإسراف في النصحية فضيحة، وسوء الطريقة في التعامل مع الآخرين تؤدي إلى الاختلاف والتفريق يقول: «... لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم، وآفة العدو واختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة دخول فيها، وعمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد، ويمحق العدد، والإسراف في النصيحة هو الفضيحة والحق يمنع الرفد، ولزوم الخطيئة يعقب البلية، وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين»[2].

ليعود المرسل في ختام الوصية للحديث عن نفسه، فهو عاش كثيرا وأكل وشرب مع أقوام عدة، فذهبت هذه الأخيرة وزالت، وقد أحسن بدنو الأجل فقال: «... وكأني بهم قد لحقت»[3].

ليختتم وصيته هذه بأبيات شعرية تعكس سياقا نفسيا، إذ تترجم الحالة النفسية الكئيبة للأب الذي أفنى شبابه وعاش دهورا صاحب الكثير من الناس لكن بقي وحيدا، يراعى نجوم السماء، ويقلب أمره ظهورا وبطونا يقول:

أكلت شبابي فأفنيتـــــه وأبليت بعد دهور دهـــــورا
ثلاثة أهلين صاحبتهـــم فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 122-123.
2- المصدر نفسه، ص 123.
3- المصدر السابق، ص 123.

أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمري بطونا ظهورا[1].

يرى أوزولد ديكرو أنه من الصعوبة إن لم نقل من المستحيل تقديم تعريف للفعل الإنجازي، ومع ذلك يمكن القول إن هذا الفعل هو نتاج الفعل السابق. الفعل الإنجازي الحقيقي هو القيام بفعل ضمن قول الشيء[2]، ويعرف بأنه: «الفعل المتصل بقيمة الملفوظية ذاتها»[3].

وفي هذه الوصية توجد مجموعة من الطروحات (أفعال إنجازية) وحججها المباشرة:

الأطروحة: 01

– يا بني قد أتت علي مائة وستون سنة.

الحجة01:

– ما صافحت يميني يمين غادر.

الحجة02:

– ولا قنعت لنفسي بخلة فاجر.

الحجة03:

–ولا صبوت بابنة عم ولا كنة.

الحجة04:

–ولا بحث لصديق بسر[4].

الأطروحة 02:

–فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيت.

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 01، ص 123.

2– شتير رحيمة، تداولية النص الشعري، ص 150.

3– فرناند هالين، التداولية، تر: زياد عز الدين العوف، ص 68.

4– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.

الحجة01:

-وإلهكم فاتقوا.

الحجة02:

-يكفيكم ما أهمكم.

الحجة03:

-يصلح لكم حالكم[1].

فلغة هذه الطروحات وحججها، وإن كانت في أصلها استعارية، إلا أن اعتيادية تداولها على هذا الشكل في الوصية بمقتضى النصح، حملها محمل اللغة العادية التي لا يلجأ سامعها إلى تأويلها، حيث تعد هذه الحجج حكما مباشرا للوصول إلى النتائج.

الأطروحة03:

-إذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم.

الحجة01:

-وآفة العدو اختلاف الكلمة.

الحجة02:

-التفضل بالحسنة يقي السيئة.

الحجة03:

-وعمل السوء يزيل النعماء[2].

معروفة لغة هذا الطرح وحججه بأنها استعارية في الأصل، إلا أن تداولها واستعمالها في الوصايا الوعظية خاصة، وعلى هذا النحو جعلها ترقى بأن تكون لغة عادية بمجرد أن يتلقاها السامع، يفهمها دون اللجوء إلى التأويل.

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 122.

2- المصدر نفسه، ص 123.

الأطروحة04:

– وعقوق الوالدين.

الحجة01:

– يعقب النكد.

الحجة02:

– ويخرب البلد.

الحجة03:

– ويمحق العدد[1].

بالنسبة لهذا الطرح وحججه التي لا تخلو لغته من الاستعارية المباشرة، لا يحتاج إلى التأويل، لأن مقصدها واضح وظاهر بالنسبة للمتلقي، فهو ليس بحاجة إلى إعمال عقله عند تلقيه لهذه الأطروحة، وذلك لأنه أمور نفسية مرت بها البشرية جمعها.

ومما سبق يتضح أن وصية الحرث بن كعب لبنيه جاءت نتيجة لحالة نفسية واضحة، فعبر في وصيته هذه عما يشعر به وما يختلج صدره، وهذا ما أدى إلى دمج حالته النفسية مع الحالة الذهنية ليظهر هذا كله في برنامج الفعل والتفاعل، بوصفها سياقا نفسيا يحكم انتاج اللغة.

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد01، ص 123.

المبحث الرابع: السياق النصي

يتنوع السياق كما تتباين آثار عناصره على تشكيل الخطاب باختلاف أنواع، وهناك أنواع للسياق منها «السياق النصي الذي يقوم بتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة وأجزاء الخطاب في المحادثات، المحاورة، وكذلك النماذج الحجاجية في بعض نماذج الخطاب السياسي»[1]. يتضمن تحليل وحدات النص اللغوية مثل العبارة وأجزاء الخطاب.

بمعنى عند تحليل النص لا نخرج عن إطار النص بل نقوم بتحليله من الداخل، وهذا ما نجده في وصية طاهر بن الحسن لابنه لما ولاه المأمون الرقة ومصرو وما بينهما[*1]، سنة 206هـ، إذ يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك، له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه، وموقوف عليه ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه، وأليم عقابه فإن الله قد أحسن إليك، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب[*2] عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم[*3]، والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم[*4]، وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ومؤاخذك بما فرض من ذلك وموقفك عليه، ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك[*5]، عنه ذاهل، ولا يشغلك[*6]، عنه شاغل فإنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما

1- (ينظر)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 42.

*1- أثبتنا هذا الكتاب هنا لأنه في عداد الوصايا.

*2- الدفع.

*3- البيضة: جوزة كل شيء.

*4- وفي مقدمة ابن خلدون: لسريم والسرب: النفس.

*5- ذهلت عن الشيء (كفتح) غفلت وقد يتعدى بنفسه فيقال ذهلته، والأكثر أن يتعدى بالهمزة، فيقال: أذهلني فلان عن الشيء.

*6- شغله من باب فتح وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة.

يوفقك الله به لرشدك وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ[*1]، الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها وترتل[*2] في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فإنها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة[*3]، الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق لله عليك ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به إلى الله فإنه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل وإجلالا له ودركا للدرجات العلا في المعاد مع مافى ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبة لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر، والأعمال الصالحة والسنن المعروفة، ومعالم الرشد فلا غاية للاستكثار من البر والسعى له إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته

*1- أسبغ الوضوء: وفي كل عضو حقه.

*2- تمهل ولا تعجل.

*3- استخار الله: طلب منه الخيرة.

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وإنك لن تحوط[*1]، نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فإن إيقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعينك ذلك على اصطناعهم[*2]، ورياضتهم، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مفخرا فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك[*3]، فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك، واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية، والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء، والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم، وحمل مثوناتهم اثر عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ومجزى بما أحسن، وما أخذوا بما أساء فإن الله جعل الدين حرزا وعزا، ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبه، والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك، وإذا عاهدت عهدا فف به وإذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأغمض عن عيب

---

*1- تصون.

*2- اصطنعتك لنفسي: اخترتك لاخصة أمر أستكفيك إياه.

*3- الوهن سيكون الهاء وفتحها، الضعف.

كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وأبغض أهله وأقص أهل النميمة فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور، وآجلها تقريب الكذوب، والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم، والزور، والنميمة خاتمتها لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب، ولا يستقيم لمطيعها أمر وأحب أهل الصدق، والصلاح وأعز الأشراف بالحق وواصل الضعفاء، وصل الرحم، وابتغ بذلك وجه الله، وعزة أمره والتمس فيه ثوابه، والدار الآخرة، واجتنب سوء الأهواء، والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل في سياستهم، وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التي تنتهى بك إلى سبيل الهدى، واملك نفسك عند الغضب، وآثر الوقار والحلم وإياك والحدة، والطيش، والغروز فيما أنت بسبيله، وإياك أن تقول إنى مسلط أفعل ما أشاء فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأي، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك، وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم، والتفقد لأمورهم والحفظ لدهمائهم[*1]، والإغاثة لملهوفهم واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المئونة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان، واعتقد فيه العز، والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله،ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم، ومعايشهم فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية خراجك، وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان

*1- الدهاء: جماعة الناس، وفي المقدمة: والحفظ لدمائهم.

الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أساس لطاعتهم وأطيب نفسا لكل ما أردت فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه، واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فإن التهاون يوجب التفريط، والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى، وارج الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا، وأظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر، وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا وإحسانا فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين، وقضى الحق فيما حمل من النعم، وألبس من العافية والكرامة، ولا تحقرن ذنبا، ولا تمالئن حاسدا، ولا ترحمن فاجرا، ولا تصلن كفورا، ولا تداهنن عدوا، ولا تصدقن نماما، ولا تأمنن غدارا، ولا توالين فاسقا، ولاتتبعن غاويا، ولا تحمدن مرائيا، ولا تحقرن إنسانا، ولا تردن سائلا فقيرا ولا تجيبن[*1]، باطلا ولا تلاحظن مضحكا، ولا تخلفن وعدا ولا تزهون فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تأتين بذخا[*2]، ولا تمشين مرحا، ولا تركبن سفها[*3]، ولا تفرطن في طلب الاخرة، ولا ترفع للنمام عينا ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا، وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأى والحكمة، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة[*4]، والبخل ولا تسمعن لهم قولا فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح واعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم، وترك الجور عنهم ويدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح، واعلم أنه أول ما عصى به

*1- وفي المقدمة: ولا تحسبن باطلا.

*2- البذخ: الكبر.

*3- وفي المقدمة: ولا تزكين سفيها.

*4- وفي المقدمة: أهل الرفة.

الإنسان ربه، وأن العاصى بمنزلة خزى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد فأعدده لنفسك خلقا، وارض به عملا ومذهبا، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وأدرر عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك أمرهم، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده، ورعيته رحمة في عدله وحيطته(*1)، وإنصافه، وعنايته، وشفقته، وبره، وتوسعته فزايل مكروه أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر، ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء، والعمل تصلح الرعية، وتأمن السبل وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل في القضاء واشتد فى أمر الله وتورع عن النطف(*2)، وامض لإقامة الحدود وأقلل العجلة، وابعد من الضجر، والقلق، واقنع بالقسم، ولتسكن ريحك، ويقر جدك، وانتفع بتجربتك، وانتبه في صمتك واشدد(*3)، في منطقك، وأنصف الخصم، وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة، ولا محاماة(*4)، ولا لوم لائم وتثبت، وتأن وراقب، وانظر، وتدبر، وتفكر، واعتبر وتواضع لربك، وارأف(*5)، بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا له بغير حقها، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام

---

*1- في المقدمة: أعطيته.

*2- النطف: العيب والشر والفساد.

*3- سديس كضرب: صار سديدا.

*4- في المقدمة: "ولا محاملة".

*5- من باب كرم وقطع وطرب.

عزا ورفعة ولأهله سعة، ومنعة، ولعدوه وعدوهم كبتا[*1]، وغيظا، ولأهل الكفر من معاديهم ذلا، وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق، والعدل، والتسوية، والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه، ولا عن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد من خاصتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فإن ذلك أجمع لألفتهم، وألزم لرضا العامة، واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وإنما سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذ منها ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة، والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ولا يشغلنك عنه شاغل، ولا يصرفنك عنه صارف فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في عملك واحترزت النصحة من رعيتك، وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك، وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك، وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك، وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك، وكنت في أمورك كلها ذا عدل، وقوة وآلة، وعدة فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله، واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم، وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأمره كله، وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع، والنصح، والصنع فأمضه وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر، والعلم ثم خذ فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه[*2]، ذلك وأعجبه وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه

*1- كبته، صرعه وأخزاه ورد العدو بغيظه وأذله.

*2- في المقدمة: "وقد أتاه على ما يهوى فأغواه ذلك".

أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت، وباشره بعد عون الله بالقوة، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ من عمل يومك، ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك فإن لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك، وأحكمت أمور سلطانك وانظر أحرار الناس، وذوي الشرف منهم ثم استيقن صفاء طويتهم، وتهذيب مودتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم، وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات ممن دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مئونتهم، وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم[*1]، مسا، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه أحفى مسألة، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم، وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم، ويرزقك به بركة، وزيادة وأجر للأضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية[*2]، على غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال، واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة، وفضل الرفق منهم وربما برم[*3]، المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره، وذهنه منها ما يناله به مؤنة، ومشقة وليس من يرغب في العدل، ويعرف محاسن أموره في العاجل، وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه

*1- الخلة: الحاجة.

*2- في المقدمة: "في الجرائد".

*3- ضجر ومل.

إلى الله، ويلتمس رحمته به، وأكثر الإذن للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة، والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط بسماحة، وطيب نفس والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر،ولا منان فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك من أهل السلطان، والرياسة في القرون الخالية، والأمم البائدة ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله، والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه، واجتنب ما فارق ذلك، وخالفه ودعا إلى سخط الله، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال، وما ينفقون منها، ولا تجمع حراما، ولا تنفق إسرافا، وأكثر مجالسة العلماء، ومشاورتهم، ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن، وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك، وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر، وإعلامك ما فيه من النقص فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك، وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته، وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك، ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك، وبصرك وفهمك وعقلك، وكرر النظر إليه والتدبير له فما كان موافقا للحزم، والحق فأمضه واستخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه والمسألة عنه، ولا تمنن على رعيتك، ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء، والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك وتفهم كتابي إليك، وأكثر النظر فيه والعمل به، واستعن بالله على جميع أمورك، واستخره فإن الله مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك، وأفضل رعيتك ما كان لله رضا ولدينه نظاماً، ولأهله عزاً وتمكيناً، وللذمة والملة عدلا وصلاحا، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك، وتوفيقك ورشدك وكلاءتك وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك، وكرامته لك حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا، وأوفرهم حظا، وأسناهم

ذكرا وأمرا، وأن يهلك عدوك، ومن ناوأك وبغى عليك ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك، ووساوسه حتى يستعلى أمرك بالعز، والقوة والتوفيق إنه قريب مجيب، وكروا أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس، وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه فقال ما بقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه، وأوصى به وتقدم، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال».

تتضمن وصية المرسل (طاهر بن الحسين) في توجيه ، وإرشاد المرسل إليه (عبد الله) إلى تحقيق مجموعة من القيم التي يتعين على أي مسؤول أن يكون جديرا بفهمها وتطبيقها والتحلي بها ليكون عادلا، ومخلصا في عمله، فمن هذه المبادئ ما جاء في قوله: ... فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيته ومراقبته... وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه... والدفع عن حريمهم وبيضتهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم... والمواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس... ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

تمثل هذه القيم ركيزة أساسية لتطوير أي حجاج والسير به نحو نتائج جيدة بحيث يعد تقوى الله من كمال التوحيد، فتقوى الله هو الموضع الحجاجي وتحقيق مبدأ العقيدة، وكما يلزمه بالعدل بغية استصلاح الرعية وعمارة بلادهم، والدفاع عن الرعية والتقيد بشرائع الله من صلاة في وقتها، وذكر لله، واتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تجعلنا هذه القيم نعي استراتيجية المرسل (طاهر بن الحسين) الذي يوجه المرسل إليه (عبد

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، ص 134-135.

الله) بحيث «تمثل الاستراتيجية التي وظفها المتكلم لتبليغ قصده وتحقيق هدفه»[1]. لذا يكون للمرسل هدف معين بغرض تحقيق قصد معين، ويراد به «الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه»[2]. يكمن غرض المرسل في إفهام المرسل إليه بأن المسؤولية تحتاج إلى تفريغ الفكر والعقل من الأمور الغير ضرورية وأن يجعل من نفسه مسؤولا جديرا بالحكم.

وبالنسبة للدفاع عن حريمهم، وبيضتهم، والحق لدمائهم، والأمن لسبيلهم تدخل في المقاصد السياسية ضمن دائرة هيكلة الدولة.

وهناك قيم أخرى منها الفقه في دين الله، والنهي عن المعاصي والقصد والإحسان بالظن، يقول طاهر بن الحسين: وآثر الفقه وأهله... وكتاب الله والعاملين به... والمعرفة بما يتقرب بابه إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله... والأمر به، والناهي عن المعاصي... والقصد داعية إلى الرشد.. وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك الرعية[3].

لذلك فمحاسن الظن هو الموضع الحجاجي، ويستوجب على كل امرئ مسؤول أن يفهم أمور الدين، ويعي كتاب المولى عز وجل قولا وفعلا، كما حث على أن القصد جزء من عقيدة المسلم كون العمل به يورث العز ومبدأ العمل أوله حسن الظن بالله لاستقامة الرعية، «والمقاصد لها أطر معينة في ذهن المرسل كما يرى سيرل»[4]. ويكمن قصد المرسل (طاهر بن الحسين) في وعي كتاب الله، فحسن الظن بالله عز وجل واستقامة الرعية تدخل ضمن دائرة الانتصار وهو موضع حجاجي مهم، فكل شيء يستقيم بحسن

1- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2009، ص 55.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، ص 200.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، ص 136.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 183.

الظن بالله، كما حث على أمور مفروضة على كل مسؤول كتقويم النفس، وإقامة حدود الله، والإيفاء بالعهد، وينهى عن الكذب والزور مقابل العمل بالصدق والحق.

يقول في ذلك: ... وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع... وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به... وإذا عاهدت عهدا ففي ب... واشدد لسانك عن قول الكذب والزور... وأحب أهل الصدق والصلاح وأعز الأشراف بالحق[1].

يكمن عمل كل مسؤول في محاسبة نفسه قبل محاسبة الرعية، وتطبيق ما فرض عليه من الحدود في أصحاب الجرائم، وألا تؤخر العقوبة وفي بكل عهد قطعته سواء في الظاهر المعلن أو الباطن الخفي، لأن العهد كان مسؤولا، وعلى كل راع أن يلتزم بالصدق وتجنب الكذب، والزور لأنهما صفتان تؤديان إلى النار، أي أن استراتيجية المرسل (الطاهر بن الحسين) للمرسل إليه (عبد الله) واضحة من خلال التوجيه والإرشاد إلى العمل بشرائع الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم بغرض أن يكون مسؤولا حكيما وفيا ناجحا في شؤون الرعية، أما الكذب والزور فيدخلان ضمن دائرة الترهيب.

تعتبر المسؤولية من الأمور التي يجب الالتزام بها، ومن الواجبات المتبعة التي ينبغي أن يتسلح بها كل مسؤول واع وفقيه، يقول طاهر بن الحسين في ذلك: وإياك أن تقول إني مسلط أفعل ما أشاء، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأي، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له.. واعلم أن الملك لله... ولتكن ذخارئك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة... واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر.. وإياك أن

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الظاهرة، المجلد03، ص 137.

تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخر[1]. فأول ما يدركه كل مسؤول أن لا يفعل كل ما يميليه عليه فكره، لأن آخره نقص في الرأس السديد.

وليكن جوهر ما تذخره البر والتقوى، وحذاري من الدنيا لأنها مجرد لهو ولعب وزينة وتفاخر فما هي إلا متاع الغرور، ونفقه من قول المرسل (طاهر بن الحسين) أن الاستراتيجية التوجيهية تتجلى في نصح، وإرشاد المرسل إليه (عبد الله) بغرض نيل رضا الله تعالى، باعتباره أمر مرهون بالعمل الخالص له باعتباره مسؤولا.

لا يقوم مبدأ العدالة إلا بأمور محكمة يفرض على كل مسؤول تطبيقها، إذ يقول: ولا تحقرن ذنبا، ولا تمالئن حاسدا، ولا ترحمن فاجرا... ولا تصدق نماما، ولا تأمنن غدرا... ولا تحقرن إنسانا، ولا تردن سائلا فقيرا... وأكثر مشاورة الفقهاء... فاجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه[2].

أراد المرسل (طاهر بن الحسين) أن يوضح كون أخذ الأمور على محمل الجد يسهل تسيير الأعمال، وتطبيق الحدود على كل فاجر، واتخذ من الاحتياط ما يكفي لتأمن الغدارين، ومن المشورة أمرا ينفعك من ذوي الخبرة. كما بين أن الكرم والجود من أنبل خصال المسؤول، والابتعاد عن الشح باعتباره صفة ذميمة كونه أول ما كان من أبناء آدم عليه السلام عندما قرب أحدهما قربانا إلى الله عز وجل فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، لأنه اتخذ البخل صفة ذاتية لا يمكن صدها، فالمرسل من خلال حديثه عن الشح بين بأنها استراتيجية توجيهية ذكية ليتجنبها المرسل إليه (عبد الله)، ولذلك فقد «تكون نتيجة الفعل التوجيهي ملزمة للمرسل إليه عبر سلطة المرسل، لأن ما يجعل من الخطاب إنجاز الفعل توجيهي هو ربطه بأن المرسل المشتغلة بالخطاب وفيه»[3].

1- المصدر السابق، ص 138.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، ص 139.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 324.

من خلال توجيه المرسل لهذه النصائح، والتوجيهات ليتخذها المرسل إليه، ويأخذ بها بغية النجاح في الحياة والفلاح في الدنيا، ويكمن السياق النصي هنا في اجتناب الشح وما ينجر عنه، فالشح يعتبر رأس المآثم، وبالتالي يولد البخل، ويتبين ذلك في قول طاهر بن الحسي: وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح، واعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا، فإن رعيتك إنما تعتقد على .... فاجتنب الشح، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه... يقول الله عز وجل «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»[1].

من خلال ذلك يصبح الإنسان يستقبل فقط، ومن ثمة يولد في نفسه البخل، وباتباعه ينحرف الإنسان عن الطريق المستقيم، أما إذا تجنبه، وتركه يحصل على الفوز والفلاح والثبات على استقامة الطريق، وهنا يكمن الموضع الحجاجي فيكون كثير العطاء كريما.

توجيه المرسل لهذه النصائح والتوجيهات ليتخذها المرسل إليه، ويأخذ بها بغية النجاح في الحياة والفلاح في الدنيا.

كما فرض المرسل (طاهر بن الحسين) بعض الأمور التي يتخذها المرسل إليه (عبد الله) في تسيير أمور الحكم، قد بين هذا في قوله: واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور، لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض... وأبعد من الضجر والقلق... وانظر وتدبر... ولا تسرعن إلى سفك دم... وراجع أهل البصر والعلم[2].

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المجلد 03 ص 139.

2- المصدر نفسه، ص 140-141.

يتضح هنا أن التصديق بالقضاء يسهل تسيير الأمور ويحذره من الضجر والقلق لأنهما صفتان لا ينبغي أن يكون في المسؤول الحكيم، وعليه بالنظر والتفقه، والتدبر في جميع الأمور كبيرها وصغيرها، وأن يتم حل المشاكل بأيسر وأسهل الطرق دون الحاجة إلى إراقة الدماء، ويكمن قصد المرسل هنا بأخذ القرار الصحيح، والابتعاد عن كل ما ينقص من قيمة المرء، وما يلحق به، ولابد من مشاورة أهل العلم، والتجارب والخبرة لأن مشاورته لهم فيه نفع في حل الأمور، وللقائل هنا دور في إضفاء الصدق على ما يقول وإكساب قوله قوة إقناعية وتأثيرية[1].

وبالتالي فالتمسك بالقضاء يعتبر ميزان الله الذي تستقيم به الأمة، وبالتالي يولد العدل سواء في إقامته في القضاء أو العمل الذي يكون صالحا لاستقامة الرعية، وهنا يكمن الموضع الحجاجي في هذه الوصية.

والمرسل (طاهر بن الحسين) يقول في ذلك: واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور، لأنه ميزان الظن الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء، والعمل تصلح الرعية[2].

فالمرسل من خلال إرشاده وحثه عن القضاء بعدها مباشرة تكلم عن الميزان وبإقامته يحصل العدل الذي يعتبر باب السير في هذه الحياة. هنا يكمن السياق النصي حيث أن طاهر بن الحسين تحدث عن القضاء، وبعدها مباشرة انتقل إلى الميزان الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض نجده هنا تحدث عن الموضوع عبر مراحل منظمة.

ومن أبرز التعليمات التي استند وركز عليها المرسل (طاهر بن الحسين) في تبليغ غرضه للمرسل إليه (عبد الله)، والتأثير فيه لوعيها وتطبيقها، هذا ما قاله له طاهر بن

1- (ينظر): عبد الله البهلول: الوصايا الأدبية، ص 187.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، ص 140.

الحسين: واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك... وأكثر الإذن للناس عليك، وأبرز لهم وجهك[1].

يشير إلى أن الالتزام بالعمل في وقته المحدد (المعين) خير من تأخيره لأن تأخيره يتجه التخاذل، والكسل فإذا زادت مشاكل الأمور عن حدها زادت أمور الرعية تعقيدا، فعليك بإظهار استعطافك، ووعد لهم هنا لكمن الاستراتيجية التوجيهية المحكمة بحيث أن «المتكلم وظفها لتبليغ قصده وتحقيق هدفه»[2]. فغرض المرسل يكمن في توجيه للمرسل إليه إلى الالتزام بالعمل، وضبط أوقاته التي تعد ضرورة لتسيير شؤون الحكم.

أما في نهاية الوصية فقد وضح المرسل (طاهر بن الحسين) للمرسل إليه (عبد الله) أن الاعتصام بالله تعد الكفة الراجحة في تحقيق مبدأ العدل، وتسيير شؤون الرعية في قوله: ... ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله... واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله مع الصلاح وأهله، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيتك ما كان الله رضا، ولدينه نظاما... وللذمة والملة عدلا وصلاحا[3].

نجد طاهر بن الحسين أن أول خطاب له هو العمل بتقوى الله وخشيته، ,آخره كذلك وقد ألم بدعاء شامل يذكر فيه اسم الله عسى أن يسهل المولى عز وجل على عبد الله رئاسة شؤون الرقة مصر وما بينهما.

1- المصدر السابق، ص 141-142.

2- مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض، دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولوج معمري تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2009، ص 55.

3- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، ص 143.

وفي ختام هذا الفصل توصلنا إلى:

أن السياق يعد من العوامل الأساسية التي تحدد مقاصد الخطاب، وهناك أنواع عديدة للسياق منها:

- السياق المقامي: الذي يركز على: المرسل والرسالة والمرسل إليه.
- السياق الوجودي: فهو يعتبر من أهم السياقات التي تهتم بتحليل الخطاب وأنه يدرس ما يحيط بعالم الأشياء.
- السياق النفسي: يعد من السياقات المتداخلة والمترابطة ويقود إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة.
- السياق النصي: الذي يقوم بتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة وأجزاء الخطاب.

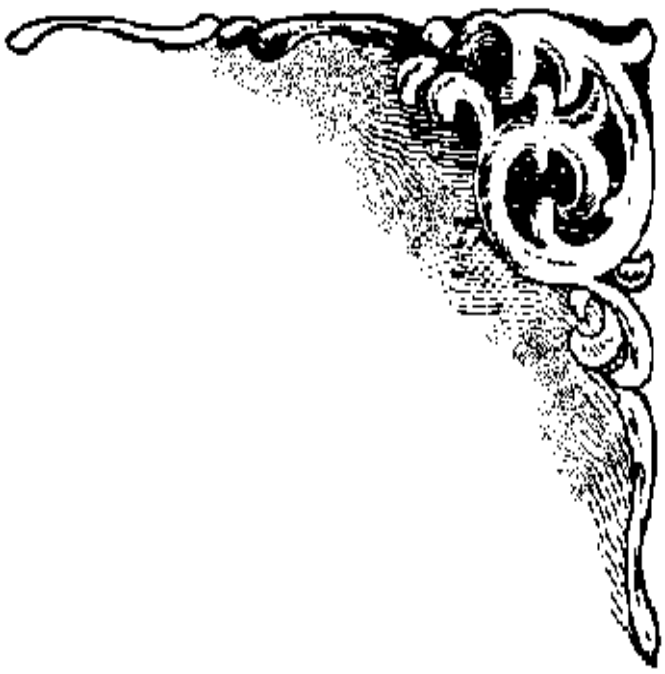

خاتمة

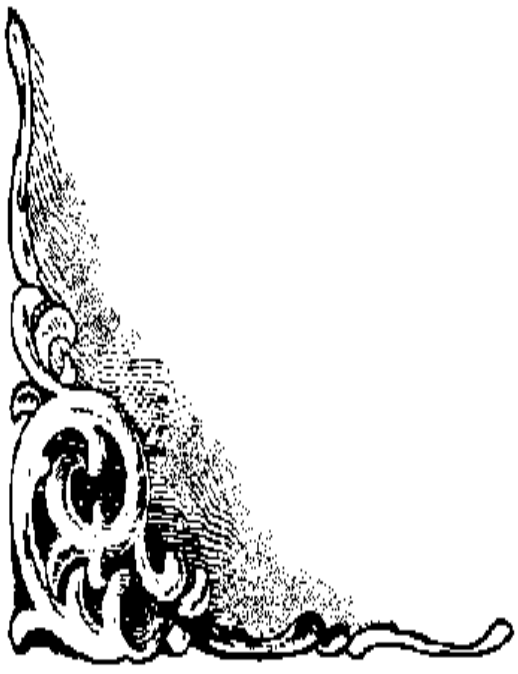

وفي ختام بحثنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- مثلت استراتيجية التخاطب محور العملية التواصلية بين المخاطب والمخاطب والظروف المحيطة، حيث يشترط وجود طرفي التخاطب لتكتمل بذلك العملية.
- هيمنة الاستراتيجية التلميحية في جمهرة خطب العرب بأجزاءه الثلاثة، ذلك لما تحتويه من أدلة وبراهين (قرآن كريم، حديث، شعر...).
- تجلت الوصايا الوعظية أكثر في الاستراتيجية التوجيهية من خلال توجيه وحث الآباء الأبناء على اتباع الطريق المستقيم، وما يكون فيه من مبادئ وقيم يحتاجها الإنسان في حياته ومن أمثلة ذلك: «**فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد، ومشفق شفقة والد**». «**واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب**»، «**ولا تقربوا الربا، ولا تأكلوا مال أحد**».
- إن الميزة الأساسية التي ميزت الاستراتيجية التضامنية هي المواضع الحجاجية التي تعد خلفيات مرجعية تخدم المرسل إليه في محاولة فهم الوصية والعمل بما جاء فيها.
- تبيان مقاصد كل من الاستراتيجيات الثلاثة (التوجيهية، التلميحية، التضامنية)، والتي تختلف من مقاصد دينية، يكون فيها ترشيد أخلاقي وتذكير بالله، إلى مقاصد اجتماعية يكون فيها إغاثة للملهوف وإكرام للجار وقيم إنسانية مختلفة، ومقاصد سياسية أو نفسية يخطط فيها لهيكلة الدولة والانتصار في الحرب.
- اختلاف السياقات من سياق نصي وسياق نفسي، ومقامي وحالي راجع إلى اختلاف الخبرات وتبيانها من مرسل إلى آخر، مع اختلاف في الظروف المحيطة بكل سياق.

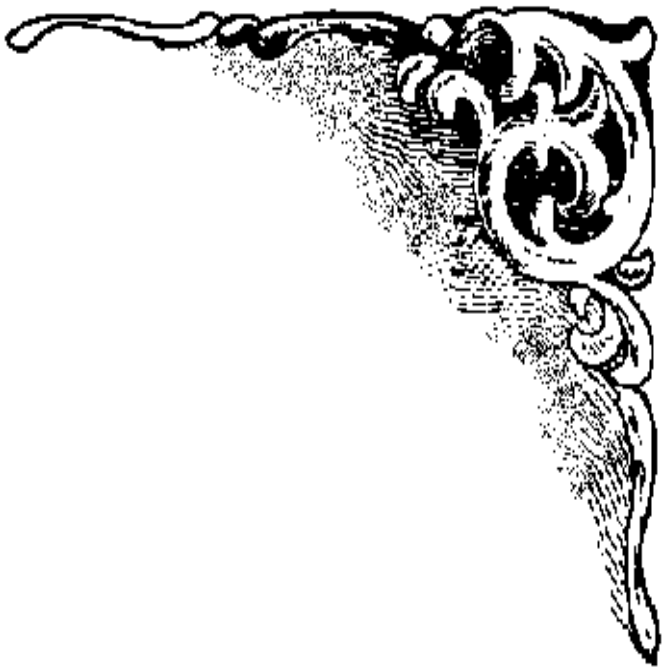

ثبت المصطلحات

ثبت المصطلحات:

Echelles Argumentatives	(س) السلالم الحجاجية	stratégie	(أ) الاستراتيجية
contexte	سياق	métaphore	الاستعارة
Contexte Etjudy	سياق وجودي	La preuve	البرهان
Contexte Des mausoleès	سياق مقامي	Discours	(ت) التخاطب
Contexte Du texte	سياق نصي	pragmatique	التداولية
Contexte De moi meme	سياق نفسي	directive	التوجيه
	(م)	solidarité	التضامن
Destinations	المقاصد	allusion	التلميح
Situation	المقام	Argumentation	(ح) الحجاج
Positions argumentative Valeurs	المواضع الحجاجية (ق) القيم	argument	الحجة
Conmandentes	(و) الوصايا	discours	(خ) خطاب
prèdication	الوعظ		

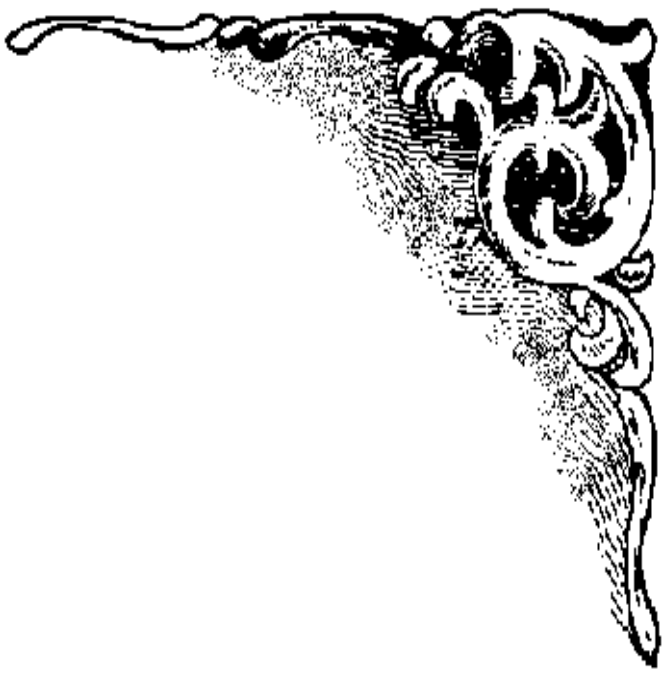

قائمة المصادر والمراجع

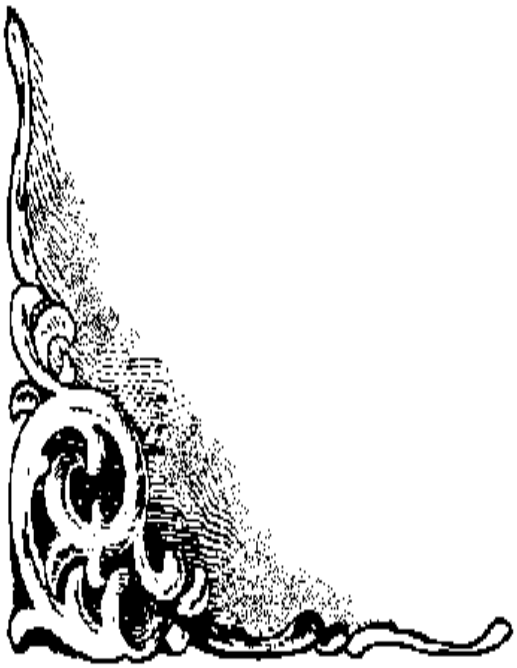

* القرآن الكريم

1/ المصادر:

1- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب، تح: أحمد الحوفي، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط01، دون سنة.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد01، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1933.

3- ــــــــــــــــــ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد02، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1933.

4- ــــــــــــــــــ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد03، المكتبة العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 1933.

5- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط02، لبنان، بيروت، 2000.

المراجع:

أ- المراجع العربية:

6- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس، ط01، الدار البيضاء، 2013.

7- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 2010.

8- حافظ إسماعيل علوي وآخرون، التداولية علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط01، الأردن، دون سنة.

9- حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، ط01، عمان، الأردن، 2008.

10- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2009.

11- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط02، الدار البيضاء، 2000.

12- ـــــــــــــ ، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 1998.

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العربية، ط01، لبنان، 2005.

14- ـــــــــــــــ، أسرار البلاغة، الدار النموذجية، ط01، صيدا، لبنان، 1998.

15- عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقاربة أسلوبية حجاجية، ط01، صفاقس، تونس، 2011.

16- عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، بيروت، لبنان، 2004.

17- ـــــــــــــــ، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، مؤسسة الانتشار العربي، ط01، بيروت، لبنان، 2013.

18- عبده عبد العزيز قليقية، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط03، القاهرة، مصر، دون سنة.

19- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1991.

20- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط01، بيروت، 2005.

21- مصطفى رسلان شلبي وآخرون، مهارات الاتصال باللغة العربية، الإمارات العربية المتحدة، ط01، دبي، 2008.

22- محمد نظيف وآخرون، في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، الدار البيضاء، دط، إفريقيا الشرق، 2014.

23- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، جامعة حلوان، كلية الآداب، ط01، 2013.

24- نعمان بوقرة، المصطلحات المفاتيح الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط01، أربدا، الأردن، 2009.

ب- المراجع المترجمة:

25- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ط01، بيروت، لبنان، 2010.

26- فرانسوا أزارمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، دط، مكتبة الأسد، 1985.

27- فرناند هالين، التداولية، تر: عز الدين العوف.

ج- القواميس:

28- أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، ط02، لبنان، 1998.

29- بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، ساحة رياض الصلح، دط، بيروت، لبنان، 1987.

30- صبحي حمود، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط01، بيروت، لبنان، 1991.

31- محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط02، بيروت، لبنان، 1987.

د- المعاجم:

1/ المعاجم المترجمة:

32- جميل صليبيا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتب اللبناني، المجلد01، دط، بيروت، لبنان، 1982.

33- دومينيك مانغونو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد الهادي الهيري، دار سيناترا، ط01، تونس، 2008.

34- مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، إنجليزي، عربي، دار الفكر اللبناني، ط01، بيروت، لبنان، 1995.

2/ المعاجم العربية:

35- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، المجلد 04، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت، لبنان، 2002.

36- أبو جمال الدين الأنصاري، ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، المجلد02، دار صادر، ط01، بيروت، لبنان، 1997.

37- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، دط، مصر، 1994.

هـ- رسائل الدكتوراه والماجستير:

38- شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008.

39- حامدة تقبايت، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2012.

40- نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب "المثل السائل" لابن الأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب العربي، 2010.

و- المجلات:

41- عمر بلخير، استراتيجيات التخاطب ومقاصد الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقف، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، العدد الثالث، 2008.

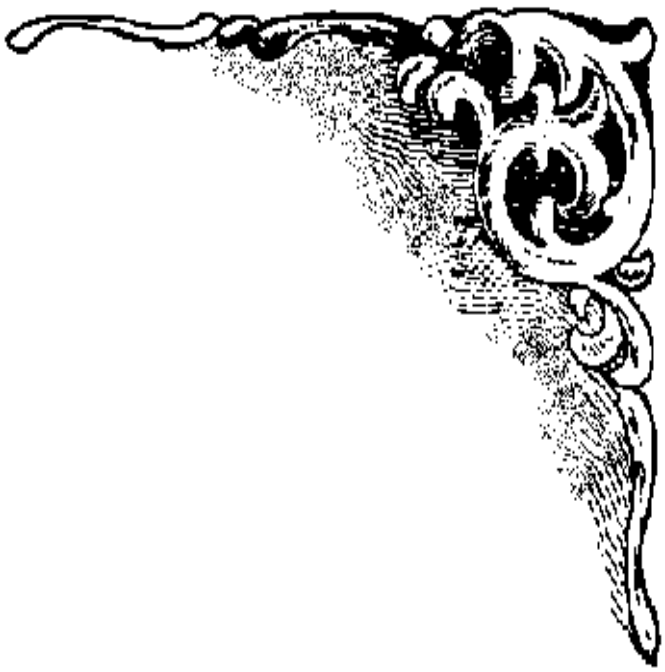

فهرس الموضوعات

مقدمة أ–د
مدخل: مفاهيم منهجية..... 6–21
1– مفهوم الوصايا..... 6–11
1–1 لغة..... 6–9
1–2 اصطلاحا..... 10
1–2–1– الوصية مصطلحا عاما..... 10
1–2–2– الوصية في مجال الفقه والتشريع..... 11
2– استراتيجية التخاطب..... 12–14
3– مفهوم التداولية..... 14–18
1–3 لغة 14–15
2–3 اصطلاحا..... 15–18
4– الحجاج..... 18–21
1–4 لغة..... 18–19
2–4 اصطلاحا..... 20–21
الفصل الأول: أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الوصايا الوعظية
المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية..... 23–55
1– مفهومها 23
2– أنواعها..... 23–59
2–1 وصايا الآباء للأبناء..... 23–46
2–2 وصايا الاستخلاف..... 47–55
2–3 وصايا الحكماء..... 55–59
3– وسائل الاستراتيجية التوجيهية..... 60–68

3-1 الأمر..... 62-60
3-2 النهي..... 63-62
3-3 الاستفهام..... 64-63
3-4 التحذير..... 64
3-5 النداء 66-65
3-6 الإغراء..... 66
3-7 ذكر العواقب..... 68-67
المبحث الثاني: الاستراتيجية التلميحية 80-69
1- مفهومها 69
2- الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التلميحية..... 80-69
2-1 ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية..... 69
2-2 كذا..... 69
2-3 إنما..... 69
2-4 الاستعارة..... 79-70
2-5 الكناية..... 80-79
المبحث الثالث: الاستراتيجية التضامنية 87-81
1- مفهومها..... 84-81
2- وسائلها..... 87-84
الفصل الثاني: استراتيجية السياق في الوصايا الوعظية
1- مفهوم السياق..... 125-90
1-1 لغة..... 91-90
1-2 اصطلاحا..... 92-91

المبحث الأول: السياق المقامي..... 92–95

المبحث الثاني: السياق الوجودي..... 96–103

المبحث الثالث: السياق النفسي..... 104–109

المبحث الرابع: السياق النصي..... 110–125

خاتمة 128

ثبت المصطلحات..... 130

قائمة المصادر والمراجع..... 132–136

فهرس الموضوعات 138